
ابراج
على
عبد الله الوكيل
Bibliotheca Alexandrina
0158100

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

أبراج على الأطلنطى

★ ★ ★

عبد الله الوكيل

مطبوعات
عالـم القصة

(١)

نزل مساء السبت من الأتوبيس عند نهاية الخط ، ومركز التجمع للأتــوبيسات المتجهــة إلى جميع الأنحاء . الأعداد محدودة ، والمجمع نصف خاو . مبنى ضخم ، خطوط مستقيمة من المعدن والزجاج وأضواء النيون والكتل الخرسانية والسلالم المتحركة المنسابة فى سكون . أسهم تشير الى جهات الخروج والدخول وأضواء على الحائط تنبئ بمجىء الأتوبيسات وانصرافها .

الوجوه متجهمة ، ملابس السائقين زرقاء ، وملابس الملاحظين كألوان الأتوبيس زرقاء . الكلب الضخم الذى سميت باسمه الشركة قاتم مرسوم على الأتوبيسات جميعا وعلى العاملين ، وعلى أعلى الحائط ، ولكنه متجهم بنساب عدواً فليس لديه الا العدو !

يوم السبت آخر النهار . خرج الناس من المدن منذ ساعات النهار الأولى . الموجودون هنا طفيليون ، يلبسون الجينس والأحذية ذات الكعوب العالية جدا . وجوه أسبانية سمراء وأجسام زنجية ممشوقة القوام ، ذات نظرات لامعة متحدية .

الكلام قليل والميكرفون يعلن بين الحين والحين عما يجب أن يتبع ، منهيا حديثه بعميق الشكر لاستخدام الشركة والاتوبيسات متمنيا الازدهار للراكبين ، ثم يرين سكون رهيب الا من وقع الأقدام ..

خرج من باب المحطة الى رصيف الشارع المتسع . المبانى رمادية متكتلة متجهة نحو سماء رمادية ضيقة. قوادون ومومسات على الرصيف . ولأول مرة يوجه له كلام بدون مقدمات

- هل تريد موعدا ؟..هل تريد مخدرا؟ هل تريد؟ ... هل تريد ؟

شعر بالكآبة والملل فى آن واحد على رصيف شارع فى العالم الجديد . ولكن كل شيء مستهلك ذو ألوان قاتمة .الشارع قذر . الرصيف قذر . التاكسيات صفراء تمرق فى الطريق."موديلات قديمة وألوان باهتة ، وشعر النساء مصبوغ باللون البني والأصفر ، ووجوههن سوداء ملطخة بلون أحمر او بيضاء رخوة ممتقعة ، والجميع واقفون تماثيل متعفنة فى متحف بلد الأمر الواقع .

حمل حقيبته المنتفخة وسار نحو هدفه"بيت الشباب " تقاطع

الرابع والثلاثين مع الطريق التاسع.هذا ما تقوله الورقة . تذكر "كاوبوى منتصف الليل " عن شاب جاء من الغرب الأوسط الأمريكى ليبحث عن النجاح فى نيويورك بعد حلم طويل عنها. قابلته بشوارعها المتسعة المتسخة وأناسها المتميزين فلم يستطع الا العودة لبلده . التفكير فى العودة يلح حتى قبل البيت ، وحتى قبل التقاط الأنفاس .

أخيرا وصل الى بيت الشباب. شحاذون حول الباب من نوع آخر ، ثيابهم غير ممزقة ولكن على وجوههم علامات جنون، وقسوة أيام طويلة وراء القضبان.

وضع ثيابه فى حجرته النمطية الصغيرة . ثلاثة أمتار فى مترين ، سرير ودولاب ومكتب . لم يبق مكان للانتقال بين محتويات الغرف الثلاث . لم يجد مناصاً من النزول كى يتجول فى الحى . الظلام بدأ يهبط على الشارع الرمادى ، مصابيح الكهرباء تبدو خابية فى الخضم الرمادى الكبير ، لفرط دهشته انتبه لوجود فتحات ضخمة فى منتصف الشوارع يخرج منها دخان أبيض.

لابد أن هذه كالكتا بعد الزلزال وليست نيويورك .

ولكنها كانت نيويورك تفتح الشوارع فيها أفواهها ليخرج

دخان التسخين وتكييف الهواء .

العنوان الرئيسى لصحيفة المساء خمسة قتلوا بالرصاص والبوليس يحاول معرفة الجانى ، وأسباب الجريمة الغامضة .

أغلق الباب بالمفتاح الداخلى ، ووضع السلسلة فى وضعها الصحيح وراح يحاول ..النوم .

(٢)

أتم اجراءات التسجيل فى قسم الدراسات الحرة المسائية بجامعة نيوريوك ، وأصبح طالبا هاويا يبحث عن سكن دائم ، فالاقامة فى بيت الشباب فى الطريق التاسع أمر مستحيل . البيت يقع فى الجانب الغربى للمدينة ، والجانب الغربى هو جانب الفقراء والعاطلين ، وحيث إن الخطوط المستقيمة هى أقرب الطرق ، فالطريق الخامس المستقيم يقسم المدينة إلى قسميها الرئيسيين الشرقى والغربى . الشرقى حيث مبنى الأمم المتحدة والمبانى المحترمة للشركات العظمى ، ومساكن سادة القوم . أما الجانب الغربى فهو الخطر المحدق ، الأسنان اللامعة لضحكة صاخبة فى ظلام حالك .

دار على البيوت حتى كلت قدماه ، أخيرا وجد البيت

الدولى فى الطرف الجنوبى من المدينة على مرتفع يطل على حديقة عامة .منزل يضم شتى الجنسيات ، ولكنه مخصص للطلبة الكبار . امتلأ قلبه بالسعادة عندما علم أن البيت يضم الجنسين معا ، فالنضوج والمتعة ، والعلم وكذلك ..... الفن فى مكان واحد .

جلسا يتناولان طعام الغداء فى مطعم البيت الدولى .

قالت :إن اسمها سالى وتدرس الاجتماع ، وقالت أيضا:إن المصريين قوم أذكياء ، ولكن لاتعطى لهم الفرصة الكافية .

أحس أن الكلام مكرر من أحد هواة برنامج على الناصية. شقراء ذات جسد متماسك ، ووجه جامد غائب الانتباه . ناقشته فى أمور شتى يصعب الإجابة عنها بغير تمهل . لم تمهله لكى يستجمع أية إجابة ، ولم تبد اهتماما عندما كان ينتزع الفرصة للإجابة

أعطته رقم غرفتها .

اتصل تليفونيا من غرفتك لوشئت ، سأكون هناك حالا .

دعاها لمشاهدة فيلم ، فقالت : ـ أفضل أن تجىء عندى لنتكلم قليلا . فوجىء بالدعوة غير المتوقعة ، شعر بالدماء تجرى فى عروقه أكثر دفئا . فتحت الدولاب،وأخرجت زجاجة خمر

وكأسين . دعته للشرب . اقترب منها ، ووضع يده على كتفها . فسألته إن كـان يريد أن يمارس الحب معها . فأجاب بالإيجاب. تحولت إلى ضابط يصدر الأوامر.

: أعطني المنبه ، فعندى محاضرة ، قرب الكرسى.ضـع ثيابك عليه .

ضبطت المنبه ، أطفأت النور،هجمت عليه كنمر هائج ، أو لاعب مصارعة ، محاولة استكشافه من غير تضييع لحظة واحدة . كاد أن يصاب بالذهول بسبب عصبيتها المفرطة ، وتدافع حركاتها .

- أجبنـى أرجوك . هل أنت غنى ؟ أجبنى ، أجبنى . هل أنت غنـى ؟ هل تريد الزواج ؟ هل تعلم أنك تمر بتجربة بيئية جديدة وعليك الاستفادة منها ؟.

أعادت الكرة هجوما وكلاما ، مرددة الحكم ، ملقية التوجيهات فى معسكر سريرها الصغير ، وهو لا يقوى على جمع الأفكار والتجاوب مع تدافع الكلمات والحركات .

سألته ..هل أزعجتك ؟ هل حركاتى غير محتملة ؟ أنا فاشلة !!حاول تهدئة الموقف ، وطمأنها أن كل|شىء على ما يرام . وفى النهاية بدت أقل توترا ، وأكثر تأملا . لبس ثيابه وخرج من

الغرفة .

(٢)

مباني الجامعه تقع في قرية جرينتش ..حي سكني قديم . بيوته منخفضة ، شوارعه جانبية ضيقة ، مركز التجمع للفنانين والكتاب ، وكذلك العاطلين . بالحي ميدان واشنجطون ذو الحديقة المتسعة تبدو منها مباني نيوريوك الحديثة تحاصر الحي . وفي ذلك العام زحف الخريف ببطء على المدينة ، بل إن الصيف الهندى الذى يحمل وسط الخريف جو الصيف المنصرم حل وطال . أصبح الميدان يعج بالحركة . يتجمع الناس حول لاعبى " الجيتار " أو حول الفرق الموسيقية الصغيرة حتى لاتضيع بهجة الجو سُدى .

السناجب تقفز بين أشجار الميدان وعلى الحشائش . الحمام البرى يلتقط طعامه في حرية من الأيدى التى تنثر له الحبوب . جلس على إحدى الأرائك في الميدان الواسع ، اقترب منه شاب طويل القامة في ملابس باهتة وطلب منه إحسانا وكاد يصعق بل لم يصدق أذنيه الى أن أعاد الشاب طلبه مرة أخرى فاخرج دولارا وأعطاه إياه .

كان على موعد لتناول الغداء مع " كاتى " السكرتيرة فى قسم تسجيل الطلبة الأُجانـب . قصيرة القامة ، سمينة ، ذات شعر قصير ، ووجه مكتنز للغاية . فى مطعم الجامعة قالت له :ـ إن التجربة الجديدة مفيدة فى حد ذاتها ويكفى أنك جئت إلى هنا من آخر الدنيا لترى عالما جديدا . أما عن نفسى فإنى أعيش وحيدة ، بعد أن مللت العيش مع رفيقة يهودية أخـرى . أميرة صغيرة ، تقدم لها الهدايا من الماس فى المناسبات ، تغير ملابسها الرقيقة الغالية باستمرار ويحنو عليها أهلها . أما أبى فهو جزار قعيد ، وعلىّ أن أعول نفسى لأنى لاأقبل المساعدة من أهلى ، وعلى كل الأحوال فأنا حاليا أعالج عند الطبيب النفسى وأجد الشجاعة للذهاب إليه مرة كل أسبوع . حاولت أن أجد السعادة فى ممارسة الحب . ولكنه شىء لايحتمل شىء بعيد عن تحقيق السعادة .

خرجا من المطعم . سارا نحو الميدان الكبير ، حيث يقع المبنى الذى تعمل فيه . نظرت إليه برفق من وراء نظارتها الذهبية الرقيقة وضغطت يده .

– عندما تجد متسعا من الوقت مُرّ على مكتبى ، كى نتحدث ونتناول الغداء سويا .

فى طريقه إلى محطة المترو تحت الأرض رأى رجلين مخمورين ممددين على الأرض قرب باب الدخول لايستوقف منظرهما أحدا . تفوح منهما رائحة الخمر والعفن ، ويسيل منهما لعاب مخلوط بالقىء ، وكلما حاول أحدهما الكلام انهار تلقائيا قبل أن يتفوه بكلمة واحـدة .

(٤)

المترو تحت الأرض.اصطكاك القضبان بالعربات ، وصدى الاصطكاك فى المحطات زلزال مختنق . تنطلق العربات بنوافذها الجانبية المضيئة داخل دهاليز طويلة مظلمة . عند توقف المترو فى المحطات الرئيسية يندفع الركاب من الأبواب الأوتوماتيكية ليلحقوا بالمترو الفرعى ، قبل أن يفلت منهم ، ولا يجدى تحذير الميكروفون من ترك الأبواب تقفل تلقائيا فيمسك الركاب بها ، حتـى يستطيعوا الدخول قبل أن تتحرك القاطرة. على حوائط العربات رسوم ضخمة مرسومة بأنابيب ملونة وكلمات كبيرة الحجم بلا معنى ، وأسماء الراكبين ، وأحياناً فلان يحب فلانة ، أو فلانه تنتظر فلانا . الكلام القليل لا يجدى

بعد تحرك المترو؛ فصوتُ العجلات المعدنية المندفعة يُسكت أى كلام .

سار فى الحديقة المقابلة للمنزل . الاوراق الخريفية الملونة تغطى الأرض ، فالخريف اسمه السقوط ، السقوط العظيم للأوراق . سمع صوتا مصريا يناديه ... مجدى الزميل المصرى الوحيد فى المنزل . قمحى ذو شارب بنى ، وابتسامه عريضة ، وصلعة خفيفة . اتجه اليه ، وسارا يتحدثان عن الوطن الذى يبدو بعيدا جدا . الاشتياق عظيم فى الجو الخريفى ذى الأوراق المتساقطة لكن آلام الماضى تنبعث حيـة لامعة وسط مشاعر الحنين المتساقطة كاوراق ذلك الخريف !!

سارا فى الشارع المحصور بين الحديقة والنهر ، وانحدرا حتى وصلا الى نهاية الانحدار . وقفا على الرصيف الأسود العريض وطيور النورس البيضاء ضخمة الاجنحة تحلق فوق الرصيف النهرى ، وترسل صيحاتها الصاخبة ... تقترب من الماء ، تنقض بمناقيرها على فريستها من الاسماك ، ثم تنطلق مرتفعــة ...

قـال مجـدى :

بعد حصولى على ليسانس اللغة الانجليزية عملت لدى

مصلحة الاستعلامات . ولكن المرتب الضئيل لم يكن كافيا فقررت الهجرة . أعمل كاتبا ، ولكننى اخترت أن أعيش مع الطلبة للدراسة ، وعندما أدخر شيئا من المال سوف أعود إلى هنا مرة ثانية مع زوجتى المصرية ، فالمرأة الأمريكية لا تصلح لى زوجة.

عاد من نفس الطريق الى المنزل . فتح صندوق البريد الخاص به . وجده خاويا . أما مجدى فقد تهلل فرحاً وقال له : إن الأخبار مطمئنة وعائلته على ما يرام . جلس فى الصالة الضخمة وحيدا ، والشمس ترسل أشعتها من خلف النوافذ المرتفعة فتذكره بالدفء المفقود .

(٥)

نزلت المجموعة الى طريق برودواى ، حاملة أدوات التصوير السينمائية ، وكل يحاول أن يبدى رأيا أو يقترح اقتراحا ، فقد قسم الفصل الى مجموعات متنافسة ، وأعطيت لكل منها أدوات التصوير اللازمة للتجربة الأولى وتطبيق ما درس على الواقع فورا .

مجموعة من أربعة اشخاص ، مختلفى المهن والأعمار ،

أكثرهم حيوية وكلاما امرأة في أواخر الثلاثين ، لا تكف عن التعليق والكلام والحديث وابداء الرأى ، والباقون فى ثيابهم الثقيلة الرثة يستمعون ، ونادرا ما يعلقون . اقتربت منه . لفت ذراعها حول خصره . اقترحت أن يُصوَّرا وهما يسيران على الرصيف وخلفهما أضواء النيون ، وعنوان فيلم "ولدوا خاسرين" كى تحمل أول لقطة معنى مزدوجا .

بدت المرأة تصطنع التصابى ، تكاد عيناها الزرقاوان تقفزان من محجريهما ، لا تستقران على حال ، تتعاونان مع فمها فى الحديث وابداء الرأى . وبدا أن لكل فرد فى المجموعة دورا هاما ، سواء فى تثبيت الفليم ، أو قياس الضوء وضبط فتحات الكاميرا .

عاد الى المنزل بعد انتهاء التصوير ، وجلس على أحد المقاعد فى الدور السفلى ، ووضع قطعة معدنية فى جهاز الموسيقى ، واختار أغنيتين إيقاعهما سريع ومركز . كانت جوليا فتاة البار السوداء الحسناء تاتى كل مساء لتقدم للرواد المشروبات بابتسامة عذبة وإنجليزية ذات لكنة تاهيتية ، وكان الطلبة الهنود يعتبرونها ملكا خاصا لهم ، لأن صديقها هندى من نيودلهى ، ويغار عليها . وكانوا جميعا يشاركونه الغيرة

والاهتمام . وسيم كأحد أبطال سانجام يقطع مذاكرته ، ويجيء بين الحين والحين للاطمئنان عليها فتصطنع الجدية ، وتمتنع عن مراقصة الزملاء .

قـال أحـدهم :

ـ لو كنت مكانك يا جوليا لتركت هذا الصديق الهندى الفقير ، ورحلت إلى الحى الشرقى فى نيورىوك ، حيث العرباتُ الفارهة ، والرجال القادرون بدلا من هذا التعب والكد .

ابتسمت دون تعليق واستمرت فى ملء الكئوس ، ومحاسبة المترددين على البار . استغرق فى شرب البيرة ، يملأ كأسه مرارا فى جو بادى القتامة،فحوائط البار داكنة والكراسى والمناضد خشبية عتيقة ، والقادمون هاربون من حجراتهم صغيرة الحجم التى لاتصلح للتأمل والراحة ، بل تصلح فقط للنوم والاستذكار . جلست إلى مائدته فتاة نرويجية متناسقة الوجه والجسد .

قالت له:إنها معجبة بالشرق ، والقادمين منه .

حدثها عن أى شيء وكل شيء.انضم إليهما أحد الطلبة الإيرانيين ، فقدمته له على أنه صديق عزيز ، واستأذنته فى الانصراف معه . أحس بغثيان وإحباط كريه فترك البار، و فى

طريقه إلى حجرته رآهما يسيران متخاصرين !!

(٦)

دعته كاتى إلى حفل تعارف ، حضره أصدقاؤها فى المكتب وبعض أقاربها . الحفل فى العاشرة مساء . المكان يقع بالقرب من الجامعة .

عندما دخل الشقة كان الزحام شديدا ، والمكان مكتظا بالواقفين والجالسين ، والدخان يملأ الجو . على مائدة جانبية (بنورة) كريستال ضخمة بها بنش ، وزجاجات نبيذ وويسكى وجبن ومأكولات .

استقبلته كاتى فاتحه ذراعيها ، ورحب به من يعرفونه من العاملين معها فى المكتب . زاد الزحام بقدوم أناس جدد إلى الحفل من بينهم "ماجى" مديرة كاتى،وكان قد ظن أنها يهودية مثل كاتى، ولكن الأخيرة صححت له معلوماته قائلة وهى تضحك: – يبدوأنه لا فكرة لك عن اليهود .

كانت ماجى فارعة الطول وشعرها الرمادى المقصوص بعناية متوسط الاسترسال وعيناها ثابتتان وراء نظارة ذات

زجاج سميك ، ملابسها محدودة الألوان ، وتتكلم كلماتها المحسوبة برقة وحزم . اقترب منها فابتسمت له فتحدثا قليلا ودعاها للرقص فرفضت دعوته ، وقالت: إنها تفضل الراحة . كان بوده أن يراقصها وكان يحس أنها بالنسبة له جحيم من الذكريات المكبوته تجمع بين العقل والاتزان والجاذبية .

دخلت إحدى زميلات كاتى المكان . وكانت قد تجاوزت الستين ، وقدمت لهم صديقها باعتزاز شديد، وقدمت كاتى لها وللصديق المشروبات متعاونة مع إحدى الزميلات لتؤكد للقادمة كل ترحيب وعناية ، بالرغم من نظراتها المتفحصة غير العادية الموجهة إلى القادمة والصديق .

ازداد المكان اكتظاظا بالبشر والدخان ، ولغط الكلام . وبدأ الشراب يفعل مفعوله ، وأصبحت الأشياء هلامية والراقصون يزداد التصاق بعضهم ببعض ، والوقت يضيع كالدخان فى هواء الحجرة المغلقة . أحس بالدوار ، وبدأت نظرات العتاب تتجه إليه ، ولكنه لم يستطع أن يتحكم فى قوة الدافع التى كانت تدفعه نحو الرقص . وقف ليتحدث مع ماجى.أصغت إلى حديثه ووجدت لكل سؤال جواباً ولكل معنى رداً ، ولكنها بدت بعيدة عن الانفعال . فى بداية الأربعينات ولم تتزوج ولا تشعر أنه قد

فاتها القطار ، بل تتحدث عن موضوع سفرها لكى تزيد ثقافتها اتساعا وإتقانا حتى تترقى فى السلم الوظيفى .

على أحد الكراسى ذى العجلات جلس أحد أقارب كاتى . قعيد مصاب ، بترت ساقه إثر حادث . كان يبتسم منطلقا فى حديثه مع من حوله ، ويشارك بنظراته فى الحفل . تجاذبا أطراف الحديث ، وعبر عن أمله أن يسود السلام والوئام عالمنا حتى تستتب الأمور ، ولا يضطر البشر إلى سفك دماء بعضهم البعض من أجل تحقيق الأهداف والمصالح .

تشعب الحديث حول الصراعات السياسية العالمية والمحلية محاولين فك الرموز والطلاسم وانتهيا بالرغم من عنايتهما فى اختيار الألفاظ المعبرة إلى أمنيات مبهمة طيبة لكل الناس ولكل العالم .

بدأ الزحام يخف وانسحب الضيوف الواحد تلو الآخر . وخلا المكان إلا من قلة تعد على أصابع اليد الواحدة . خرج الباقون من مكان الحفل نحو عربة أقلتهم ، قاطعة بهم الشوارع الصامتة ذات الإشارات الأتوماتيكية المتعددة . وعندما وصل إلى البيت أبرز بطاقته ، فضغط الحارس الزر الكهربى الذى يفتح الباب تلقائيا . الأشياء ساكنة ، ولايسمع إلا أزيز المصابيح، وآلات التدفئة المركزية .

(٧)

إلي نبوجوسى الجانب الآخر من النهر . مرتفعات ذات أشجار، أوراقها ملونة بعد " نيويورك " غابة المباني الداكنة . دخل الأتوبيس نفقا مغطي بالقيشاني الأبيض ومضاء بالنيون ، ثم خرج من الممر ، وبدأت " مانهاتن " كتلة ضخمة متماسكة رشيقة الأبراج ، تتباعد في خط الأفق حتي تتلاشي وراء الأشجار .

وصل الاتوبيس " مونت كلير ". أعضاء من نادي مونت كلير الدولي ينتظرون لاستقبال الأجانب المدعوين لقضاء عطلة الأسبوع في المدينة الصغيرة . في بيت واحد من أعضاء النادي ، قدم للضيوف الشاي في أطقم صينية وفضية فخمة . الدفء بعد جو البرودة المنتشرة خارج المنزل . فالبرغم من سطوع الشمس كانت أشعتها جامدة باهتة التأثير ، الأثاث يوحي بالثراء الموروث،ومن خلف مربعات النوافذ والستائر الرقيقة بدت خضرة الحشائش النضرة المترامية الأطراف المحيطة بالمنزل. نشوة من الاسترخاء . اندلعت الذكريات

المحتشدة وأوهام الطمأنينة البعيدة المنال .

جاء مضيفه مبتسما ابتسامة أضاء ت وجهه السمين . رحب به وأخذه إلي عربته . قال بيير :-

- لقد جئت إلي الولايات المتحدة من بلجيكا منذ حوالي عشرة أعوام . إذا مرت ثلاث سنين ولم تعد إلي موطنك الأصلي فاعلم أنك قد تعلقت بحياة من نوع جديد لاتستطيع الاستغناء عنها .

بدأت السحب تنتشر في السماء والجو يزداد برودة . أوقف بيير العربة في منطقة غير مأهولة ونزلا ليتمشيا حتي وصلا أعلي المنحدر .

- هل تعلم أنني سوف أريك منظرا فريدا . سوف أريك مدينة نيويورك ؟ أليس غريبا أن تراها من هنا علي هذا البعد ؟

رآها علي البعد لاتخفيها الغصون وأوراق الشجر . بدت بمبانيها الشاهقة بعيدة متفردة كأنها من كوكب آخر غير مأهول من آلاف السنين .

قال بيير :

- لايستطيع المرء أن يسير وحده هنا في المساء،فهذه المنطقة مكشوفة يسكنها السود الذين لايتورعون عن عمل أي شيء . لقد ظُلموا طويلا ولا مانع لديهم من الانتقام .

في منزل بعيد استقبلتهم الزوجة ضاحكة سعيدة .

- هاأنذا قد أتيت لك بالضيف المصري .

ظهر ابنه وابنته ، أمريكيين حقيقة ، جاءا واختفيا سريعا .

- لم أر الفتاة منذ يومين .. أين اختفت أثناء تلك المدة؟

ردت عليه بلهجة زاجرة محذرة.

- إنها تقضي (الويك اند) عند صديقتها كما تعلم .

- إنني أتساءل فقط ولا داعي للغضب .

ضمت مائدة العشاء صديقين من أصل ألماني ، مازالت اللغة الألمانية عالقة بكلماتهما . مخترع كيميائي وزوجته . المخترع علي المعاش ، أمضي حياته في استحداث أدوية الأسنان لحساب شركة أمريكية كبرى .

بدت البهجة علي وجه الزوجة غامرة. شربوا أنخاب النبيذ علي أضواء الشموع الخافتة ، أسرة واحدة متعارفة منذ سنين عديدة.

في صباح اليوم التالي خرجت مجموعة من الرجال لممارسة هوايتهم المفضلة ، وهي محاولة استكشاف أحد التلال المحيطة، والوصول إلي قمته سيرا علي الأقدام في طرقه الوعرة.

ساروا وسط أشجار بدأت تفقد أوراقها التي غطت الأرض والطرق، وعندما وصلوا أرسلوا إشارة لاسلكية .

– من بيير إلي جون . هل أنت بخير ؟

– كل شيء علي مايرام

– يوم عظيم.أليس كذلك ؟

قال بيير : – هل تعلم أن هؤلاء القوم لايتورعون في مغامراتهم عن المخاطرة ؟

أمسك بجهاز الإرسال مستفسرا عن موقع الآخرين . ساروا بين التلال متتبعين خريرا من الماء حتي وصلوا بحيرة ساكنة . افترشوا الأرض . بدءوا في التهام طعامهم. البحيرة زرقاء ورمادية . وقف عند حافة البحيرة . رمي حجرين ليكسر السكون .

في المساء استعدوا للذهاب إلي نادي مونت كلير الدولي ، حيث يقام الحفل في المقر الكبير . الملابس تقليدية. حلل سوداء

طويلة ، فساتين سهرة مطرزة ، موسيقي خارجة توا من آلات كمان في القرن الثامن عشر ، يرقصون عليها بنظام محكم ، كالرقص في بلاط ملوك أوروبا الغابرين .

ارتبك وهو يتابع حركات زوجة بيير التي دعته إلي الرقص معها . هونت عليه الأمر مشجعة ، وهي تبتسم بعذوبة. بلغت نشوة الحاضرين ذروتها ، عندما خرجت راقصة أمريكية من أصل أرمني ، ترقص رقصة هز الوسط الشرقية. طرب الجميع لمجرد ظهورها في ثوب الرقص اللامع والفرقة الموسيقية المصاحبة لها علي المسرح .

- لقد أصبحت رقصة هز الوسط الرياضية المفضلة في هذة الآونة للسيدات الأمريكيات . إنها تكسبهن الرشاقة والنحافة .

- إن الشرق الاوسط لم يعد يصدر لنا البترول فقط بل أيضا إحدي الرياضات التي تكسب نساءنا جمالا .

خرجوا يهرولون تحت المطر . توجهوا نحو النادي الليلي . كانت النيران مشتعلة في المدفأة الكبيرة والمصابيح خافتة . انضم إلي مائدتهم تاجر صديق لبيير وضيفته الكورية .

- هل تعلمون أن كثيراً من رجال المافيا يجيئون إلي هذا النادي ؟
- هل هم كثيرون؟ هل يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة؟

قال بيير :

- أنصحكم بالصمت،لأن الكلام غير مأمون العواقب ، قد يسمعنا أحدهم هنا ، دعونا نتحدث عن هذا التاجر المليونير الذي طاف بالشرق والغرب يبيع كل شيء في كل مكان بثقة كاملة وبراعة فائقة .
- بل دعونا نتحدث عن "" بيير "" رجل المال والبنوك فهذا أكثر فائدة لنا بلا شك.

ضحكوا جميعاً،وبدت الفتاة الكورية ملجمةَ اللسان ، غيرَ قادرة علي متابعة الحديث تنظر إليهم بدهشة وهم يتحدثون لغة اجنبية لم تتقنها بعد .

في اليوم التالي عادوا الى نيويورك التي استقبلت القادمين إليها بلا عقبات وبلا ترقب . فجسور نيويورك الحديدية المعلقة في السماء متينة صلبة مفتوحة لمن يرغب الدخول ، وفي كل الأوقات .

(٨)

في الدور السفلي بالمنزل حجرة بها غسالات كهربية ضخمة لها أنين وأزيز ، ومواسير تجلب الماء وتلفظه أوتوماتيكيا. جو الحجرة المدهونة بلونٍ أصفرَ برتقاليٍّ رطب جدا وحار نتيجة لأجهزة التنشيف الدائرة كالسواقي . تهتز الماكينات وترتج كلما دخل الماء أو خرج كأنها تريد أن تثير اهتمام الموجودين .

وضع ملابسه وأفرغ الصابون في إحدي الغسالات . جلس ينتظر انتهاء الغسيل لم يكن بالحجرة غيره وفتاة وذات ملامح نصف شرقية سمراء طويلة ، تلبس نظارة طبية تقليدية بإطار سميك . وراءها عينان بإحداهما حول خفيف ونظره متفحصة . كانت رشيقة رغم قصر رقبتها ، وميل خفيف للامتلاء . لم تكن قبيحة ، ولكن لم يكن في ملامحها مايجذب .

أحس بالملل في الجو الحار الرطب ، فتح معها موضوعا للحديث عن البيت الدولي وأحواله . كانت إجاباتها حذرة متزنة ومتعقلة بلا انفعال وبلا ابتسام .

- من أي بلد جئت ؟
- أنا مصري .

سكتت قليلا ، وفكرت . وسألته عن رأيه في السلام ، لما لم تشتم منه رغبات قتالية أو حدة سياسية بدت أقل تزمتا . هل أنت يهودية ؟ قالت بعد تردد:نعم أنا كذلك،قال إنه مقتنع أن السلام لابد أن يحل . وأن طول الحرب مردّه الصراعات الدولية المريرة التي لاتريد أن تستقر علي حال . بينما يمكن حل المشاكل بمزيد من الجهد والإرادة .

انصتت، في سكون وراحة. بدت علي وجهها علامات تعاسة لها جذور كما أنها كانت تود أن تصدق أن هذه هي الحقيقة وأن السلام شيء ممكن .

- كيف تقضين وقتك ؟
- أنا اسعي للحصول علي شهادة تؤهلني للعمل بالمحاماة وليس لدي متسع من الوقت لأقضيه في اللهو .

بدأ صوتها مبحوحا من كثرة التدخين ، وبدت خجولة محبطة. خرجت بعد أن جمعت ثيابها . ظل وحيدا في جو الحجرة الرطبة ذات الأزيز. في طريقه إلى مكتبة الجامعة رأى

منظرا فريدا استوقفه . عربات البوليس الزرقاء . الشرطة تضع حواجز خشبية عند احدى النواصي. جمع من الناس يحيط بخطيب لايكف عن الكلام . استفسر عن الأمر قالوا له : هذا الرجل طلب حماية الشرطة وسيحاول أن يبدي رأيه في السياسة ، وأن هناك من يناهضه وأن البوليس استجاب لطلبه .

كان الخطيب متحمسا ، ذا قدرة فائقة على ترتيب ألفاظه تتدفق كالفيضان أو السيل الجارف ، كان المحيطون إما صامتين بلا حراك ، أو في درجة من درجات الهستيريا التي تكاد تصل إلى مظهر من مظاهر الصرع .

– احمرت الوجوه غضبا . كاد كلام المحيطين يتحول إلى هذيان . أما لورنس فكان منطلقا ، متحديا ، كارها ، لايكف عن ترديد عباراته القاسية .

– إذا لم تكن تعجبك أمريكا فغادرها ولا تعد هنا مرة ثانية بحق الجحيم، ولن يمنعك أحد من مغادرتها .

يعلق الواقفون متحمسين . يستمر لورنس في توزيع المنشورات وفي الكلام ومحاولة الاقناع . يقترب أحد المصورين بكاميرا سينمائية يصور الرجل الهائج و المحيطين به .

بلغ الانفعال الذروة . وظل لورنس يخطب بحنجرته القوية ، وألفاظه الغليظة إلي أن أنهي كلامه . مضي في حماية رجال الشرطة الذين رفعوا الحواجز ، ومضوا بعرباتهم الفارهة . تفرق الجميع . عاد الشارع إلي ما كان عليه .

دخل مكتبة الجامعة. المبني مغطي بلونٍ أحمرَ فاتح . كتلة واحدة لا يلاحظ فيها من الخارج أي بروز للأدوار المختلفة ، تعطي انطباعا مزدوجا بالحداثة والقدم. المبني مفرغ من الداخل حتي السقف ، تطل من الداخل الأدوار العلوية محيطة بالفراغ. الداخلون بنظام ، والخارجون كذلك،يسيرون علي أرضية لامعة مصقولة من مضلعات البلاط الأبيض والاسود . توجه نحو صالة القراءة وجلس علي مقعد أمام مكتب صغير محاط بالخشب من جميع جهاته ، أينما نظر لا يري إلا حاجزا خشبيا . فتح كتابا أمامه . وقعت عيناه علي حوار في أول الكتاب.

– لماذا كففت يابيتر عن الكتابة ؟

– لقد بلغت عواطفي الشيخوخة . وفقدت قدرتي علي الحب ، والكتابة تحتاج إلي قدر ولو قليل من الحب .

(٩)

دخل مبنى اتحاد الطلبة ... فرقة موسيقية تعزف ألحانا أمريكية شعبية علي الجيتار والبانجو . الحرس بملابسهم الزرقاء وقبعاتهم ، مفاتيحهم المدلاة من السلاسل تحدث صليلا ، يقفون قرب باب الدخول .. ينظرون إلى القادمين بتفحص وترقب .

جلس على إحدي الأرائك أمام الفرقة وقرب التليفزيون الملون الذي كان يبث برامجه صورةً بدون صوت ، حتى تتاح الفرصة لسماع الفرقة .

امتلات حلبة الرقص بالفتيات يرقصن متباعدات . أما الطلبة فجلسوا حول الحلبة علي الأرائك الجلدية المحيطة بها ، كأنهم لا يعيرون أحداً أو شئيا أدنى التفات . خلت حلبة الرقص من الراقصات .. صفق البعض تصفيقا مصاحبا للأنغام مشجعين الفرقة.

- أيها السادة إن هذا الحفل من أجلكم . هيا تحركوا . إننا هنا من أجل الاستمتاع .

ولما لم يتحرك أحد صمت مبتسما في إنتظار جولة أخرى . ولكن يبدو أن كلامه أحدث أثرا في الموجودين. تحرك شابان من جنس الرجال نحو الحلبة ، رقصا متباعدين أول الأمر ، ثم احتضن

أحدهما الآخر ورقصا متلاصقين متلاحمين ، خدُّ كل منهما علي خد الآخر ، يتهامسان بحب ووله . كان بعض الموجودين في قمة التراخي والبعد عما يحدث حولهم ، كأن الأمر لايعنيهم وتركت بعض الفتيات المكان ظلت الباقيات يراقبن الموقف يبتسمن مندهشات لما يحدث . انضم إلى الراقصين طالبان آخران من جنس الرجال أيضا يرقصان معا برومانتيكية بالغة ، فاكتمل بذلك الحفل وأصبح المكان يضج بالتوتر الكامن والترقب والدهشة .

استمر الرقص والحنان البالغ والوله والفرقة تعزف ألحانها التي تنبعث من ميكروفون خرب ، تخرج منه الأصوات واضحة أحيانا ، متحشرجة في أغلب الأحيان ، الدهشة لم يعد لها داع ولا مكان حتي إن بعض العيون اتجهت إلي التليفزيون فاقد الصوت تراقب الصورة الخرساء . أخذت الفرقة راحة قصيرة ، ترك الفتيان الحلبة وجلسوا على إحدى الأرائك رأس كل منهما علي كتف الآخر . ترك المكان نحو الدور السفلي حيث الكافتيريا . تناول فنجانا من القهوة الامريكية وقطعة حلوى ، واتجه للجلوس إلي إحدي المناضد . لم يجد منضدة خالية. كانت هناك فتاة تجلس وحيدة . نظر إليها مستأذنا . دعته للجلوس . سألها عن طبيعة دراستها . فقالت: إنها تدرس الأدب الفرنسي في قسم الدراسات العليا . تحدثا عن الأدباء الفرنسيين وشعراء القرن التاسع عشر. بدت في عينيها نظرات

شاردة . تشعب الحديث وطال . أحس بقدمها ترتطم بساقه من تحت المنضدة . سألها إن كانت تريد مغادرة المكان والذهاب معه ليريها المنزل الذي يقطنه .

تركا المكان وذهبا نحو محطة المترو. سارا متجاورين . كانت متوسطة القامة تلبس معطفا طويلا أخضر اللون . وجهها ممتع ، شعرها البني مقصوص للخلف ذيل حصان. صغيرة الحجم بالنسبة له وهو سائر إلي جوارها في معطفه البيج التروإكار ذي الياقة العريضة . أحس أن رغبتها محمومة . وأنها تشاق إليه باستسلام .

في المترو بدا الطريق طويلا والرحلة شاقة .

سألته : هل أمامنا مزيد من المحطات ؟

غيرا المترو الرئيسي إلي الفرعي في جو مختنق محاطين بأعداد كبيرة صامتة .. خرجا من المترو إلي برودة تعلوها سماء تحيطها منازل قديمة ، تضم فقراء المدينة الذين فضل بعضهم التسكع حول المحطة المعلقة خارج النفق . وقفوا بالقرب من أكياس القمامة بشعرهم المصبوغ ونظراتهم اللامعة فانتابها الفزع وسألته إن كان المكان خطراً فطمأنها ووضع ذراعه حول كتفها .

دخلا المنزل.كانت غرفته في حالة من الفوضي يرثي لها . بدأ في خلع ثيابه وساعدها علي خلع ثيابها . مشدودة بين عوالم متعددة اختلطت الرغبة بخوف بالغ ، وعندما بدا أن كل شيء يسير علي ما

يرام تحول خوفها إلي فزع،ونهضت مسرعة لابسة ثيابها في لمح البصر . رجته أن يوصلها،إلي محطة القطار المتجه،إلي لونج ايلاند . بلغ به العجب مبلغه وأحس أنه تائه متعثر الفهم.

لبس ثيابه وتركا الغرفة وسارا من الجانب الأمامي للمنزل المطل علي الحديقة. كانت الأشجار قد فقدت أوراقها، وبدت بنية باهتة ورذاذ السماء الممطرة يغطي الطريق وعجلات العربات المارة تحدث حفيفا رتيبا على الطريق المبتل .

(١٠)

انهالت الدعوات على الطلبة لقضاء عيد الشكر عند إحدى الأسر التي يعاني أفرادها الكبار من الوحدة ، أو للذهاب إلى إحدى المقاطعات البعيدة للمشاركة في الاحتفال والتعرف على جو الحياة النائية عن جو المدينة الصاخب . اختار الذهاب إلي بنسلفانيا عند جماعة المينونايتز " في بلاد الأميش " . هناك الطبيعة هادئة والحياة تسير في رتابة ريفية ساكنة .

الجو بدأ يميل إلى درجة حادة من درجات البرودة التي لم يتعودها من قبل . برودة من نوع خاص تنفذ إلى داخل الجسد ، تحس بها في العظام حتى النخاع . الأتوبيس الأزرق الضخم يقطع بهم الطريق العريض وسط أمطار غزيرة لاتنقطع . خلف الزجاج

القاتم بدت الغابات بأشجارها البنية اليابسة عارية بعد أن فقدت أوراقها . والحقول تبدو وكأنها قُسمت مربعات ومستطيلات ، بعناية هندسية فائقة .

في منتصف الطريق توقف الأتوبيس للراحة. نزل المسافرون وسط جو ممطر تتخلله عاصفة من الهواء البارد يكاد يطيح بهم . في الكافتيريا القهوة الأمريكية الساخنة ، وسندوتشات " الهوت دوجز " وقطع الحلوى . ابتسامات جادة للمضيفات ذوات الوجوه المكتنزة. إلى الشارع مرة أخرى ، الجو العاصف ، والمطر الغزير ، مندفعين نحو باب الأتوبيس . يضطر الأتوبيس للتوقف عند بوابات ضخمة وراء صفوف طويلة من العربات لدفع أجر استخدام الطريق .

العاملون وراء كبائن زجاجية قاتمة يتحدثون مع السائق مستخدمين ميكروفونا داخليا . يتحاسبون ، ثم ينطلق الأتوبيس مرة أخري . يتذكر أوربا القديمة حيث كانت تفرض ضرائب للنقل والانتقال بين مقاطعات البلد الواحد . انقطع المطر، بدت الحقول المسطحة المقسمة بلا نهاية خضراء ممتدة حتي خط الأفق .

في المدينة الصغيرة وزع المسافرون على الأسر المنتظرة . رجال في حلل سوداء ذوو ذقون رمادية، نظراتهم حذرة وخجولة . علي مائدة الغذاء في بيت أحدهم تجمعوا .. وقد وضعت فوقها أطباق كثيرة من شتي أنواع الأطعمة . الجو فيه دفء الأسرة

الريفية كبيرة العدد . الترابط والمودة . والصلاة قبل كل شيء ، صلاة للرب في عيد الشكر على نعمه الجزيلة . أعقب الصلاةَ انفراج. صوت الأطفال والأطباق والملاعق وحديث عن الزراعة والمحاصيل ، ومقارنات حول مستوى الإنتاج وتربية المواشي . كانوا واثقين من عالمهم وأفكارهم ومعتقداتهم . عقيدتهم تربطهم بالأرض ، وتحبذ البعد عن كل مايصل إليهم من مخترعات حديثة تفسد الناس . المذياع والتليفزيون من الممنوعات ، وإذا استعملوا العرباتِ فالأفضلُ عربات تجرها الخيول،أما إذا استخدموا العربات الحديثة فلا بد من طلائها باللون الأسود ، حتى لا يدخلوا في عالمهم البهرجة المفسدة . فالطريق للرب طريق مستقيم لايعرف الاعوجاج .

بعد الغداء الثقيل استرخاء. من خلف الزجاج ظهرت الشمس بعد انقشاع السحب وانعكست على حقول خالية . انشغلت النساء ذوات الملابس المحتشمة برفع الأطباق وتنظيف المكان. استلقى العجائز على الكراسي،ولم يكف الأطفال عن الحركة ، ولكن كل شيء بدا قعيدا كأنه مشدود مثبت الي أرض الغرفة .

– إننا نتزوج ممن ينتمون إلى عقيدتنا فقط .

ينظر في بعض الوجوه المشوهة والأجسام فاقدة النمو ، مدكوكة العظام ، أبناء نتجوا من الزواج من نفس الأقارب لأجيال متعاقبة .

انتقل بصحبة مضيفة وضيفين فرنسيين ، زوج وزوجة إلى منزل

المضيف . عرفهم بزوجته وأبنائه . اصطحبهم إلى غرفة الضيوف. ثم ذهبوا معه ليشاركوه متعة عمله في حظيرة مواشيه . الرجل يقوم بالعمل بنفسه ، وابنه الكبير يعاونه . الحلب آلي ، وتنظيم الطعام ، وتنظيف المكان يتم بصورة شبه آلية ، ولكنه يتدخل بجهد لايعرف الكلل ، ويبتسم بوجهه المشرق ، ويتحدث بصوته الخفيض ، ويستمع إلى ضيوفه كأنه يتعلم منهم ، رجل في عالمه المتكامل لاينفذ إليه الشك ، ولايعرف التخاذل .

خرجوا من الحظيرة . الظلام حل ، والمكان خال خاوٍ وأثر البرودة في الجو كمشرط الجراح .

- هل رأيتم هذا ؟ بعض الصقيع قد تكوّن هناك، بعد شهر أو أكثر تُغطَّى الحقولُ بالثلج .

كل شيء هادىء ، وممتد غارق في الظلام تحاصره البرودة . أحس بالطمأنينة وسعادة مبهمة في الغرفة ذات الأثاث القديم والستائر الملونة .

في اليوم التالي أصيب المدعوون بالدهشة عندما أُخذوا لزيارة المعالم التاريخية للمكان . المعالم التاريخية تلك تكاد تكون مبنية بالأمس القريب . ونظر سكان العالم القديم لبعضهم البعض باندهاش عندما تبين لهم أن المقصود منزل على الطراز الريفي الحديث ، وبعض معدات الزراعة التقليدية وعربة سوداء تجرها الخيول.

علق الشاب الفرنسي قائلا :

-إن التاريخ هنا شيء محلي ، تفسيره خاص جدا على مايبدو.

عندما سار الشاب المصري مع الشابين الفرنسيين علي الطريق المرصوف وسط الحقول بعد انتهاء الزيارة التاريخية قال الفرنسي :-

- هل تعلم أننا نقوم بعمل يبدو مخيفا في عيون البعض ؟ ذلك هو السير في الطريق على الأقدام ، فالانتقال لابد أن يكون بالسيارات،أما الهاربون من جريمة أو عقاب فهم الذين قد يُضطرون إلي السير علي أقدامهم في الطرق المرصوفة ووسط الحقول .

تذكر أفلام المطاردة الأمريكية وصراعاتها المريرة. السجون البعيدة والبوص الغارق في البحيرات .

قالت الضيفة الفرنسية :

- انتحرت امرأة بحرق نفسها وتكتموا النبأ وسط جو مصادرة الحرية الذي تعيشه الجماعة .

- لم تتحمل المسكينة القيود غير المفهومة فتخلصت من حياتها.

عادوا أدراجهم وحزن خفي يملأ شعاب صدورهم .

قال الفرنسي :

-إن إصرارهم على توفير بعض مقتضيات الحياة الحديثة

يرجع لرغبتهم فى الادخار ، وتكوين الثروة ، أما زواج بعضهم من بعض فهذا كارثة أخرى بهدف المحافظة على الثروة داخل الجماعة .

عند الظهر شاهدوا سوقا للخضر والفاكهة ومزاداً للماشية، أخذ يقلد دلّال الماشية مُكرّرا النطق بسرعة،تضيع فيها الحروف فضحك الجميع من قلوبهم .

كان حفل الوداع فى الكنيسة . وقف الخطيب يبشر ويشرح . سئل الهنود واليابانيون والفرنسيون والألمان والمصرى وغيرهم عن ديانتهم وملخص عقيدتهم . أجابوا باختصار. دعاهم الخطيب فى النهاية للانضمام إلى عقيدته ،وإلى السير فى طريق الهداية.وقال:إنه ينتظر فى الغرفة المجاورة أيا من هؤلاءالذين دخل شعاع الإيمان قلوبهم .

حانت لحظة الوداع ، وتجمعت الأسر عند باب الأتوبيس المسافر .

-نحن فى انتظار عودتكم فى أى وقت ، فبيوتنا مفتوحة للجميع .

أخذ الأتوبيس طريق العودة متوقفاً بين الحين والحين الآخر عند البوابات الضخمة لدفع أجر استخدام الطريق .

(١١)

عندما خرج إلى سطح الأرض من محطة المترو كانت شوارع مانهاتن خالية من المارة . وعربات البوليس والتاكسيات تمرق ، ونادرا ما تشاهد عربات خاصة . الحوانيت مغلقة .

الهواء عاصف وسط الرذاذ المتطاير . اندفع نحو باب المنزل فى العنوان الموصوف . فى الصالة كانت الكاميرات ومصابيح الإضاءة الضخمة مثبتة على القوائم المعدنية والزملاء لا يكفون عن العمل . جلسوا يتناقشون حول موضوع الفيلم :

– عارضات الأزياء

– هذا زمان العرض،

– هذا زمان ارتداء الملابس،

– بل هو زمان خلعها !!

– اذن فهو زمان خلع الملابس وار تدائها

– من يصنع هذا سوى العارضات ؟!

–هذا صحيح .

عندما فتح باب الحجرة ، خرجت العارضة مرتدية فستانا

آسود طويلا حتى القدمين،وجهها عاجى اللون مرسوم بعناية ورقبتها عاجبة تخرج من كولة الفستان الأسود ، تحركت برشاقة وبسرعة وصورت من جميع الجهات بالضوء الباهر والظلال المنعكسة على الحوائط . غيرت ملابسها مرارا وعادت فى كل مرة فاتنة فى ملابسها الطويلة السابحة فى الهواء ، وجسدها الرقيق . كانت طيفا من الحقيقة،أمامه وخلفه أطياف من الأضواء والظلال . وقت الغداء تناولوا القهوة والهمبرجر ، وعادوا مرة أخرى إلى عمل بلا انقطاع ، حتى انتهوا من تصوير الفيلم . خرجوا إلى شارع بللته مياه الأمطار . هدوء بعد المطر يسبق مطراً جديدا . تفرقوا؛كل إلى جهته المعلومة .

عندما عاد إلى المنزل فى المساء بدا كل شىء هادئا قاتما.

انضم إليه فى الصالة صديقان . ميشو،مهاجر رومانى لجأ أبواه إلى الولايات المتحدة إثر الحكم الشيوعى . شاعر ورسام، وطالب يدرس المعمار . متوسط الطول ، مستدير الوجه والجسم ، ذو شعر طويل ، ولحية تحيط وجهه ، وعينان مستديرتان زرقاوان من خلف نظارة ذهبية مستديرة الأحرف . كان يتأرجح بين الهدوء والانفعال ، وصوته يتأرجح على حسب الحالة بين الحدة والانخفاض . تزوج من ميرى ، مهاجرة

مصرية ، تدرس الآداب ، وتهوى الرقص وكتابة الشعر . تشعب الحديث وتذكرت ميرى الإسكندرية ، شاطئَها العذب وأيامَها الخواليَ ، أما ميشو فكان ناقما على ذكرياته فى بلده ، وبدا أحيانا مشتتا بين الماضى والحاضر ، بعكس زوجته التى بدت ثابته واثقة رصينة ، انصهر عندها العالم القديم والجديد ، بلا فواصل،و تنظر إلى الدنيا نظرة رشيقة خالية من الهم والكدر . وكانت .. أحيانا تبدو مندهشة بسبب ما يبديه زوجها من اعتراض على أشياءَ تراها طبيعية سلسلة ويراها هو بنظرة ثقيلة غير راضية .

- عندما تعود إلى مصر سوف تستطيع استخدام ما تعلمته من الفن السينمائى،وتدخل المجال بلا صعوبة .

- أنا مجرد مبتدىء وفى مصر خبرة لا بأس بها فى هذا المجال .

- سوف تكتسح .

وعندما عاود المعارضة أصر على رأيه .

فقالت ميرى :

- ماذا تظن مصر ياميشو ؟

- هل تظنها بلدا خاوياً من كل مظاهر العلم والفن أم ماذا؟

أصر ميشو على رأيه،وانتهى الآمر بضحك متبادل وابتسامات هادئة .

تركوا المكان وذهبوا إلى البار . جلس وحيدا . انضمت إلى مائدته فتاة حبشية ، ذات سمرة فاتحة وجسم صغير رشيق .قالت إنها تدرس التلفزيون فى منحة تدريبية . تحدثا عن الفن السينمائى والتلفزيونى والاستخدامات الحديثة . دعاها لمشاهدة كتبه فى حجرته . قبلت الدعوة على الفور. اندفعا إلى المصعد،إلى الحجرة . أخذا يتصفحان الكتب بعناية ظاهرة،ثم انقلب التصفح عناقا وتقبيلا وخلعا للملابس . بدا جسدها ناعما ومشدودا، أملس الملمس،وانطلقت رغبتها جامحة ، عارمة ، شلالا متفجرا وسط غابة كثيفة الأغصان .

(١٢)

وقف وراء النافذة يراقب الثلج يتساقط متطايرا فى الهواء ، تحت أضواء المصابيح الكهربية . الثلج فى ذلك اليوم يعلن نهاية عام منصرم وقدومَ عام جديد . تأخر سقوطه على غير عادة . وانتظر حتى نهاية العام ليتساقط على الشوارع الأسفلتية ، والمنازل الرمادية . كف الثلج عن السقوط بعد فترة وجيزة ، وبدا الشارع والرصيف مبللين لامعين تحت الأضواء . كان ثلجا عرضيا لايكفى لصنع غطاءٍ أبيضَ فيه قدرٌ من الثبات .

فى صالة الاحتفالات أمنيات طيبة وميكروفون . قال مهدى ، زميل من الأردن يسكن المنزل:-

- اذهبوا إلى تفاحة آدم فى الجانب الشرقى ، فهو خير مكان ، فيه رقص وعشاء وسهر ونساء كثيرات .

قال راجى :- فكره طيبة .

وقال عونى: حسناً .

بدا عليه الحماس الجارف .كان مهدى ينتظر رفيقته البولندية الأصل ، وعندما وصلت بثيابها اللامعة ، وعطرها الفواح ، ووجهها المشرق ، انصرف ثلاثتهم ، وغادروا المكان متمنين لها ولمهدى عاماً سعيداً .

استقلوا تاكسى فى شوارع خاوية باردة . نزلوا فى الجانب الشرقى . الصمت كثيف حاد البرودة . عندما وصلوا إلى الطريق الرئيسي أحسوا بدبيب الحياة حول النوادى الليلية والكافيتريات . أعداد كبيرة من العربات والسائرين فى الشوارع. أثناء عبورهم الشارع على الأقدام ، فوجئوا بعربة تنطلق مندفعة غيرَ عابئة بالإشارة الضوئية . انحرفت نحوهم بشدة ثم تلافتهم لتصطدم بعربة أخرى فى الطريق المتعامد . انطلقت صرخة حادة تلتْها صرخاتٌ مكتومة، وصوت زجاج مهشم ومعدن مرتطم .

لم يصدق أنه نجا من الموت ، فقد كان الموت محققا . نظر إلى العربة الصغيرة التى تلقت الصدمة فى جانبها . كانت هناك فتاة فى ذلك الجانب تصرخ متألمة، والسائق ينظر إليها محاولا تخفيف ألمها ، وعلى وجهه علامات أسى ، وغضب، يحاول كتمانه . أما هو فقد ذهب إلى الكافتريا القريبة . وأحضر كوباً من المياه الغازية . وحاول أن يناولها إياه . نظر إليه السائق مستفسراً ونظرة الغضب مازالت عالقة فى عينيه .

– ما هذا ؟

– مياه غازية .

ساعدها على الشرب ، ثم ناوله الكوب مرة أخرى دون أن يشكره ...

عندما دخلوا تفاحة آدم ، لم تكن الساعة قد أعلنت الثانية عشرة بعد . نساء ورجال وزحام شديد . عونى السورى يكاد يطير من الفرح وهو يبحث عن ضالته المنشودة . كان عونى أصغرهم سنا ، وكان هاربا من التجنيد فى بلده ، ويريد أن يستقر في أمريكا بالرغم من عدم حصوله على تأشيرة تسمح له بالاستقرار الدائم . حلوانى ، ولكنه لا يستطيع أن يمارس المهنة ، دون إذن بالعمل وترخيص . رأى أن السبيل هو الزواج من أمريكية . المكان فيه نساء وحيدات ، ولابد له من أن يتصيد واحدة تحقق له جميع الأهداف دفعة واحدة ، الزواج ، والاستقرار والعمل والهجرة . أما راجى فقد بدا مكبلا لا يستطيع حراكا . منذ سنتين وهو فى أمريكا،ولكنه لا يهضم اللغة ، عقبة كأداء لا يستطيع تخطيها . خجول أمام أى شىء غريب عنه،حتى الكلام الأجنبى يعتبر بالنسبة له سورا عاليا صعب التسلق ، فما بالك بالنساء المتحدثات بالإنجليزية ؟!

– انطلقوا ، أما أنا فسوف أشعر بالسعادة ، وأنا أحتسى كوبا من المياه الغازية .

حاول عونى أن يقترب من امرأة واقفة وحدها ، مستعينا بالله وذاكرته فى أن يعبر للمرأة عن إعجابه بها . اصطحبها للرقص ثم اندفع نحوهم كالسهم طالبا سلفة نقدية كى يستطيع دعوتها للشراب . اندفع نحوها بعد أن حصل على ما يريد .

كاد هو أن يتحرش برجل هرقلى عند محاولته التحدث مع واحدة ، ولم يكتشف أنها بصحبة ذلك الرجل ، ولكن الأمر مرّ بسلام .

دعا فتاة للرقص فقبلت الدعوة،احتضنها فى رقصة بطيئة . أحس أنها فى عالم من الاندهاش والانقطاع . عند نهاية الرقصة استأذنته .

– لماذا لم تدعها لكأس ؟

– لم أكن أعلم أن ذلك أمر لازم !!

– ماذا ؟ هل كنت تنتظر أن تدعوك هى إلى ذلك ؟

عندما أعلنت الساعة الثانية عشرة أطفئت الأنوار . اندفعوا يقبلون الجالسات على البار اللواتى لم يمانعن فى التقبيل ، وكأن الأمر لا يلقى عليهن التزاما .. بعد إضاءة الأنوار استمر عونى فى الرقص . أقسم لهم أنها فتح عظيم ، وأنه قد وقع على ضالته المنشودة ، وعندما عاد ليراقصها أخذته معها إلى

الخارج .

مر الوقت سريعا . غادرا المكان صوب الشارع الخالى من التاكسيات فذهبا إلى محطة الأتوبيس . اقتربت واحدة منهما .

– بأى لغة تتحدثان ؟

– بالعربية .

– أنتم عرب .

– أنا مصرى وهو سورى .

– هل تعلمان أن الجيش الإسرائيلى جيش قوى ؟

اقترب الأتوبيس . صعدا إليه . كان الأتوبيس نصف ممتلىء . وضع الأجر فى مكانه المعلوم وجلسا صامتين .

(١٢)

سارت العربة على الطريق المرصوف وسط طبيعة وعرة، مرتفات وصخور وأشجار يابسة ، وأحجار تكسوها بلّورات من الجليد . دخول فى مدن صغيرة منسقة ، ثم فضاء بلا نهاية ، ووديان مترامية الأطراف ثم عالم الثلج كالأبد يحيط بكل شىء . ويَرينُ الصمت طويلا رتيبَ الإيقاع .

عندما خرجوا من العربة فى ثيابهم الثقيلة كان الهواء باردا يعطى إحساسا نقيا بجو مغسول بالثلج ، نقاء بارد يثير

الدهشة ، ويُلجم اللسان . دخلوا كوخا صغيرا . مطعم من الخشب ذو خطوط مستقيمة . المطعم وحيد منفرد حوله كل شيء يتجمد ، حتى السماء ذات السحب بدت قطعة من الجليد الأزرق والرمادى .

الحديث المعتاد كالطعام المعتاد ، وإحساس بالراحة لن يتحول إلى التأمل كمن يعدو لاهثا ، ثم يقف لالتقاط الأنفاس قبل الاندفاع للعدو مرة ثانية . ويعدو الأتوبيس الصغير المعار للمنزل الدولى . يستعين الزميل سائق العربة بالخريطة ويؤكد أن كل شيء على ما يرام .

وصلوا فى الظلام . أضواء خافتة متناثرة على السهل والتلال المحيطة . وزع المسافرون على المضيفين . حجز للنهاية ، قالوا : إنك المصرى الوحيد فى هذه المجموعة ، وقد قررنا أن يقتسمك بيتان ، فقد حدث خلاف على من يستضيفك ، وسوف تقضى أول يوم فى أعلى التل ، أما اليوم التالى فسوف تقضيه فى السهل .

أخذت العربة الصغيرة طريقها إلى أعلى التل . طريق أسفلت . تعطلت ثم انطلقت ، ثم تعطلت مرة أخرى ، ثم انطلقت حتى وصلوا إلى قمة التل . استقبلتهم المضيفة ، ذات الخمسين

عاما،والشعر الرمادى ، بترحاب .

— ها قد أحضرنا لك الضيف المصرى كما أردت ، وسوف يقضى أول أيام الزيارة عندك ، أما اليوم التالى فسوف يقضيه عندنا.

استأذنوا منصرفين . جاء رجل من أعلى المنزل.قدمته له على أنه صديقُها . جلسوا فى الصالة الكبيرة عند المدفأة المشتعلة . الأثاث خشبى فاتح لامع ، يعطى انطباعا بالثراء والعناية والحداثة فى آن واحد . بعد قليل انضم إليهم صديق مسن وزوجته وأصبحوا خمسة على مائدة الطعام . كان الطعام رائعا والنبيذ كذلك . وكانت مضيفتهم تشرف وحدها على نظام المائدة من خلال مطبخها المتصل بالصالة الكبيرة برصانة وثقة وحسن ضيافة ، فأضفى ذلك على العشاء إحساساً بالراحة والانطلاق .

قال المضيف المسن :

– قضيت أعواما فى الشرق الأوسط تعرفت فيها على مشاكله . أنا لا تعجبنى سياسة الولايات المتحدة فى تلك المنطقة . لقد تورطت فى أخطاء فاحشة ، لا أقرها بالمرة !!

ولما لم يجده متحمسا لما قال ، أصر على إعادة آرائه

وتعميماته من أولها لآخرها . بدا الرجل متهوسا بآرائه إلى درجة التعصب الأعمى ، ولما لم يجد أية مشاركة اُضْطُر إلى ترك الكلام فى السياسة .

بعد العشاء ، انصرف الضيف وزوجته واستأذن الصديق لينام فى الدور العلوى وبقى هو ومضيفته عند المدفأة يتحدثان.

لقد انفصلت عن زوجى . زوجى محام ناجح ، ومليونير واسع الثراء ، معتد بنفسه إلى درجة الخيلاء . أنجبنا ثلاثة أولاد ، ولكنى لم أحتمل أن أعيش معه . والآن نحن فى فترة انتقالية للاتفاق على التفاصيل المادية والقانونية للطلاق ، حتى يستطيع كل منا أن يعيش بعيدا عن الآخر بغير ذيول مشاكل . أما هذا الصديق فإننى أستطيع التفاهم معه بدون صدام ، وهو واقعى غير متعصب . هل رأيت ذلك الآخر الذى غادرنا منذ قليل كيف كان ؟ وكيف عبر عن نفسه ؟! كذلك كان زوجى . إن هذا المنزل وحوله مائتا فدان من الأرض سوف يؤول إلىّ فى اتفاقية الطلاق وكذلك بعض الأموال السائلة وحقوق عينية أخرى .

لقد اقتنع زوجى أخيرا أنه من المستحيل أن نستمر سويا ولذا فقد وافق على مبدأ التغيير .

تشعب الحديث . بدت بالرغم من المرارة التى اكتنفت ما قالته قادرةً على صنع الحاضر والمستقبل ، غيرَ عابئةٍ بالنتائج الجانبية .

- هل تخاف من الدببة ؟! من الممكن أن يظهر من خلال نافذتك دب صغير ، فلا تقلق . لقد عرفت أحد الطلبة المصريين من قبل ، وكانت مهمتى فى ذلك الوقت استقبال الطلبة الأجانب ، وعندما تركته وحيدا انخرط فى البكاء ، خوفا من أن تظهر له العفاريت والأشباح ، ورجانى ألا أتركه إلا بصحبة شخص آخر ، وحتى لا تتلقفه الشياطين !!!

فى غرفة نومه نظر من الزجاج . لم يكن هناك دببة .. فقط أشجار يابسة ، وثلج ينهمر باستمرار . نام هادئا بغير عناء . وتسرب إلى نفسه ثلج نقى ، ودهشة لا تقاوم . فى صباح اليوم التالى أعطته أدوات التزحلق على الجليد ، وقالت له:حاول المران قليلا ما بين المرتفع الصغير والمنزل . أمسِكْ العصوين وادفعهما فى الثلج . اندفَعَ ، فتركته واختفت . هب هواء بارد عنيف . أخذ الثلج يتساقط حوله . اندفع مرة أخرى . سقط على الأرض. حاول الوقوف . ولكن بدا الأمر صعبا ، وتساقط الثلج فوقه، وأطلت الكآبة بأعين باردة .

شعر بالوحدة تُنشب أظافرها فى جسده،وكاد أن يعوى من الألم والصقيع والوحدة الجليدية . تحامل على نفسه ، وقام يجر جر قدميه حتى دخل المنزل . لم يكن هناك أحد بالداخل ، فقط صوت الرياح المحملة بالثلج .

فوجىء بالصديق ينزل من حجرته العلوية . كان فى بداية الخمسينيات أيضا ، يجد صعوبة فى النطق . تخرج الألفاظ من فمه مترددة جزعة . أقلتهما عربة وتوجها نحو مضيفيه القاطنين فى السهل . الرجل ذو وجه أحمر مستدير،والزوجة ذات أنف كالمنقار

قالت الزوجة :

- هل تعلم أن الجميع هنا قد تنازعوك ؟! فى العام الماضى جاءتنا مصرية رائعة تعزف البيانو ، كما لم يعزفه أحد وملأت الجو سرورا وبهجة . إن زوجى يمتلك مصنعا للخمور،هل تريد كأسا ؟

هُرع الرجل وأحضر له كأسا من الشراب . اقتاداه ليُرياه المكان . كانت المرأة لا تكف عن الكلام ، قافزةً من موضوع لآخر .

- أنت من مصر .. ما أخبار السجاجيد عندكم فى مصر؟!

سجاجيد لابد أنها رائعة . أنا أعبد السجاجيد الشرقية . يجب أن نريك ما يحيط بالمنزل من أشجار .. غابة صغيرة ... يمر فى حديقة منزلنا جدول صغير .. أليس من الرائع أن يمر فى حديقة منزلنا جدول صغير من الماء العذب ؟! لم نكن نستطيع أن نسعد بوجودك بيننا بالأمس ، فالسيدة بأعلى التل ثرية لها كلمة مسموعة بيننا . أليست رائعة أيضا هذه السيدة ؟

كانت تتقاذفها الألفاظ كالمركب الصغيرة ، تتقاذفها الأمواج فى وسط عالم خاص من السرور الشديد الانفعال .

– أولادنا لا يسألون عنا انطلقوا بعيدا ، ولا يريدون العودة ماذا نستطيع أن نفعل بدونهم ؟!

فى المساء أقيم حفل ضم الفتياتِ والفتيانَ ، استطاع اقتناص بعض القبلات الحارة من فتاة أرادت أن تجرب حظها مع القادمين من بلدة بعيدة .

فى اليوم التالى خرجوا يتمرنون مع مدرب على التزحلق على السهل المنبسط وكان الإحساس عذبا ، كدانوب شتراوس الأزرق مختلفا عن تجربة الأمس القاسية !

فى درس الأحد سأله أحد التلاميذ :

– هل يعبد المسلمون الهلال ؟

- لا !

- لماذا إذن أرى الهلال ملازما للإسلام .؟!

- إن الهلال يبدو و فى أوائل الشهور العربية ، والمسلمون لا يعبدون الهلال على كل الأحوال .

(١٤)

خرج من قاعة المحاضرات يسير فى شوارع الحى الشرقى فى ليل نيويورك الراقى . . والمبانى شاهقة على جانبى الطريق، مبانٍ لامعة تنعكس عليها أضواء نيون خافتة . شوارع خالية من المارة إلا القليل ، يسير الواحد منهم بخطى واسعة سريعة.

كل شىء عملاق ثابت . المبانى لها جذور وأعصاب من الأسمنت المسلح ، ولها أبدان من المعدن والزجاج الصلب ، حتى الظلال تبدو مستقيمة وراء أضواء خافتة .

وصل إلى إحدى محطات المترو المركزية تحت الأرض . سار على ممرات رمادية وسوداء ثم سلالم وممرات أخرى ، وحوائط مغطاة بالقيشانى . مخابىء للاستعداد والانتظار . صليل المترو على القضبان ، ثم فرقعة الوصول والانطلاق فى

دهاليز الأنفاق .

نرجو من الجميع أن يتجمعوا فى عربة واحدة ، بدون أن يوزعوا على عربات المترو المختلفة ،حرصا على أمنهم وسلامتهم. اتصل من حجرته فى المنزل بجودى . ردت عليه بصوتها المبحوح ..

- تعال إلى حجرتى إذا شئت،فأنا منقطعة عن المذاكرة الآن .

كانت فى تلك الأيام بلا صديق . فقد تركها صديقها ورحل. انتهت من فترة امتحانات منتصف العام . كانت وحيدة قلقة مع علب السجائر ، ولا تنتهى من تدخين إحداها إلا لتبدأ فى التهام الأخرى ، فى عالم من العزلة والدخان !!

- إننى أعجب لشأنك ، قد صددتك كثيرا ، ولكنك مصر على اقتحام عزلتى ! - إننى لا عجب لهذا الإصرار الذى لا أرى له نهاية . هل تعلم أن الشكولاتة التى أهديتنى إياها كانت معبأة بالشيرى ؟

كيف عرفت أننى أعشق الشيرى ؟ عندما يريد أهلى أن يصالحونى فإنهم يهدوننى منه زجاجة كاملة .

أمسك يدها . اقترب منها وجلس بجانبها. نظرت إليه

متسائلة . احتضنها برفق ، أحس بنهدين متماسكين على صدره . ارتطمت نظارته بنظارتها .. انفجرا ضاحكين،تسللت أصابعه برفق من تحت بلوزتها على وسطها ثم إلى صدرها . أخذ فى محاولة فك أزرار بلوزتها ، وبدا وسطها وصدرها عاريين ، خلع قميصة وضمها إلى صدره . أحس بأناملها تلامس ظهره العارى وأصبح الشغف جارفا بغير إسار . خلعا ما تبقى من ملابسهما ، واندفعا بين ضمات رقيقة،وقبلات عنيفة ... هدوء عاصف ورغبة حادة. التحمت الشفاه والأبدان . انفجرت سحب القلق والتوتر . عاودا ما انتهيا منه حتى همدا فى ملاءات السرير البيضاء !

– لقد مر الوقت سريعا ، وعلىّ أن أكمل ما بدأته من عمل قبل مجيئك .

غادر الغرفة سائرا فى ممرات دور الفتيات ، ثم هبط أدراج السلم إلى غرفته . أطفأ النور ، وراح فى سبات عميق .

فى منتصف الليل صحا من نومه على أصوات متوترة جزعة ...

–إن فتاة تايلاندية صعدت إلى سطح المنزل ، ووقفت على حافة السور ، واستعدت للانتحار ، سوف تقذف بنفسها من

هناك .

بعد قليل سمع صوت ارتطام الجسد بالأرض ، وعربات الإسعاف والبوليس ، ثم الهدوء الكامل .

(١٥)

– هل علمت بما حدث أمسِ ؟ لقد انتحرت فتاة تايلاندية قفزت من فوق السطح .

– يا للأسف ولكن لماذا ؟

– لا ندرى حتى الآن .

– انتحر شاب بريطانى منذ ثلاث سنوات من فوق كوبرى واشنطن القريب ، وأما الحادث الآخر ، فقد كان لذلك الآخر الذى ابتلع كمية ضخمة من الحبوب المنومة

– ولكن ما الذى دفع الفتاة التايلاندية للانتحار .؟

جالسًا على المنضدة القريبة يقول :–

– كانت قد أحبت طبيبا تايلانديا ، وكانت تريد الزواج منه لكنه تزوج بأخرى . عندما علمت أقدمت على الانتحار .

– ياللكآبة !

– ليس هناك رجل فى العالم يستحق أن تفقد امرأة حياتها

فى سبيله . حقا إن هذه الفتاة قد أخطأت فى حق نفسها .

- إن الحب إحساس لا يمكن تجنبه . إنه شىء هائل .

إن الاطباء يكسبون كثيرا فى هذه البلاد .

- اذن انتحرت لأنها فقدت طبيبا .

- لأنها فقدت طبيبا تحبه .

- بل فقدت حبيبا يعمل بالطب .

الافطار شىء قاتل جامد ، طعمه فى الفم كالبيض المسلوق الذى تحول إلى حجارة، والخبز البارد المخزون فى الثلاجات يحتفظ ببرودة كامنة لا تذهب عنه حتى بعد ادخاله التوستر .

فى المساء عقد اجتماع كبير ضم جمعا لم يجتمع مثله فى المنزل .الطلبة من شتى الجنسيات، اجتمعوا ليناقشوا ما حدث. فقد المنزلُ عضوا من أعضائه ، واهتز الايقاع الرتيب للحياة .

وقف رئيس المنزل يتحدث :

- إننى كما تعلمون آسف وحزين على ما حدث ، فانا أب لفتاتين ، وإحساسى بفقدان هذه الفتاة هو إحساس أب فقد ابنته .

بدأت المناقشة حامية .

- نحن أيها السادة نحتاج لطبيب نفسى مقيم فى المنزل .

– إن الميزانية لا تكفى لإحضار طبيب نفسى مقيم ، هذا يكلفنا مالانستطيع .

– اصنعوا أى شيء،ولكن أحضروا لنا طبيبا نفسيا بحق السماء .

– والآن قد جاء دورك يا سيدتى العزيزة . إنك المشرفة العامة على الشئون الطلابية والاجتماعية فى المنزل، ما هو دورك بالضبط ؟

– لقد قمت بأعمال كثيرة عظيمة . أنا حلقة الاتصال بين المنزل والخارج . أنا التى تدافع عن حرية المرأة .

– ولكننا لا نعلم مدى فائدة هذا فى إطار الحياة اليومية للمقيمين هنا .

– نحن نطالب بالتغيير .

– هل تعلمون أن الطلبة الأمريكيين يمثلون ثلث عدد الطلبة المقيمين فى هذا المنزل ، ولكن بالرغم من ذلك لا يقومون بأى مجهود تجاه الآخرين ؟ إن عليهم واجبا باعتبارهم يمثلون الدولة المضيفة .

– يا هذا ، إن هذه البلاد بلاد هجرة ، وكلٌّ يمشى فى طريقه بإرادته وقوة الدفع الخاصة به . إننا هنا مجتمع حر ،

ولسنا فى مجتمع مُوَجَّه .

-إن المنزل الدولى يضم عناصرَ هاربةً من الحياة خارَجه، فالمقيمون هنا بدلا من أن يواجهوا الحياة بكل ما فيها من مصاعب فإنهم يهربون من الواقع للاختفاء فى الكتب والمراجع، أنصحكم،أيها السادة – بالاندماج فى الحياة ، بدلا من الهروب فى هذا المعتقل الاختيارى .

ضج المجتمعون بالضحك والاعتراض والتصفيق .

لم يستطع المحتجون أن ينتهوا إلى قرار محدد ، ولكنهم طالبوا رئيس المنزل أن يتخذ قرارا مسئولا إزاء ما حدث ، وبالرغم من أزمة البطالة التى كانت تطيح بالبعض ، اتخذ قراره فى غضون بضعة أيام بعد الاجتماع ، بالإطاحة بجميع المشرفين على الشئون الطلابية والاجتماعية بالمنزل ، بالرغم من الجهد الجبار الذى حاولوه لإظهار حسن النوايا فيما لم يفلح فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

(١٦)

جلس فى الكافتيريا القائمة أسفل المنزل . كانت مضاءة بالأنوار المنبعثة من الثلاجات التى تخدم الطلبة أتوماتيكيا . انبعثت موسيقى خفيفة فى الحجرة . موسيقى لأغنية قديمة

لداليدا عن ميناء بيريه . أحس بأنه يختنق ، وأن نسيم البحر فى الإسكندرية بعيد المنال ، فازداد الاختناق ، وصعب التنفس.

حدث جودى فى التليفون ، وطلب منها النزول لكى يتحدثا قليلا ..

- لقد انتزعتنى من عملى ، ماذا بك ؟ كانت نبراتك غريبة .

أمسك يدها،واحتضنها برفق :

- لا تفعل هذه الأشياء هنا .

أصر على تقبيلها فضحكت بخجل . أخذ الشعور بالاختناق يخف رويدا رويدا،وبعدت ذكريات الشاطىء ذى النسيم الفريد ، وتركته لتصعد إلى حجرتها ، وهى تبتسم .

- موعدنا الليلة فلا تضيع وقتى الآن ، عاوده الشعور بالاختناق وهاجمته الذكريات ، البحر الأزرق ، والرمال الناعمة.

حياه " روبرت صول " زميل من المنزل،جلس على مقعد مجاور .

- كيف الحال ؟

- على ما يرام .

- لا يبدو كذلك .

- هاجمنى الحنين بلا رحمة .

– ماذا جاء بك إلى هنا إذن ؟

– الرغبة فى التجديد .

– وهل هذا يكفى ؟

– يكفينى على أية حال .

انطلق روبرت يغنى أغنية " مصطفى ....يا مصطفى " .

– لقد أخبرونى أنك أصلا من مصر ، ولكننى لم أصدقهم.

ولفرط دهشته انطلق "روبرت" يتحدث بالعامية المصرية بلغة واضحة .

– بعد حرب السويس فى عام ١٩٥٦ هاجرت أنا والأسرة إلى أمريكا ، وكنت فى العاشرة ذلك الوقت ، ولم يكن اسمى روبرت كما هو الآن ، بل كان اسمى عبد الحميد على اسم أحد اصدقاء أبى المسلمين . كنا نقطن العباسية ، وكان أبى موظفاً صغيراً لا يتجاوز مرتبه عشرة جنيهات فى الشهر . كنا سعداء ، وكان كل شىء سهلا ميسورا . أحس هنا بالوحدة . ولست قادرا على إقامة الصلات مع من حولى . فشلت فى أول قصة حب لى . تركتنى خطيبتى ، وقالت لى إنك متردد ، وغير قادر على حسم المواقف ، ولا يستطيع المرء أن يعتمد عليك . وكانت صدمة كبرى فى سلسلة الصدمات التى أصابتنى فى

حياتى . عندما جئنا إلى أمريكا كنت أتخيلها بلادا رائعة كعالم " والت ديزنى " ولكن حدثنى . هل كنت تتصور محطة المترو القريبة بهذه القذارة ؟ هل كنت تتصور أن هناك من يرمى القاذوراتِ ، ويبول حولها ويُبرز المُدَى فى عز النهار ؟ لكن هذا قدرنا .

- هل وجدت نفسك مضطرا للهجرة ؟

-نعم،أذكر أننى كنت مع أبى فى الأتوبيس فى القاهرة . وكان ذلك أثناء حرب ستة وخمسين ، وصاح أحدهم ، يهودى .. يهودى، هذا الرجل وابنه يهوديان،فأحاطنا الموجودون بأعين متحدية ، وتجمعوا حولنا،وشعرت أنهم يريدون الفتك بنا . أقسم لهم أبى أنه ليس يهوديا كما يظنون،واقتنع القوم عندما رأوا الاسم مثبتا فى الاشتراك . تنفسنا الصعداء وحمدنا الله على أن كل شىء مرّ بسلام .

منذ التقينا مر وقت طويل دون أن يخبره أنه ولد فى مصر، وأن المنيرة لها مكان قديم مستقر فى قلبه .

- لماذا لم تخبرنى منذ البداية أنك تتحدث بلهجة مصرية ؟

- أبدًا، ليس هناك أسباب ، ظننت أن ذلك سيكون أمرا محرجا بالنسبة لك .

- لا أظن أن ذلك يسبب إحراجا .

فى المساء استقبلته " جودى " فى حجرتها . تركته قليلا ، ثم عادت مرة أخرى فوجدته فى سريرها، متدثرا بملاءاته البيضاء .

قالت له :ـ

- إنه شيء مقلق حقا أن أراك هكذا . ألم تكن تستطيع انتظار قدومى ؟

بدأ الحوار بالألفاظ، ثم تحاورت الأجسام فى إحدى حجرات البيت الدولى الضيقة .

(١٧)

اكتظت قاعة المنزل الدولى إلى آخرها ، وحرصت النساء كما حرص الرجال على الحضور ."مارجريت ميد" على المنصة تتحدث عن تجربتها فى الحياة ، عن الزواج ، السفر ، الصراع من أجل المواقف ، ومن أجل الأفكار .

- حرية المرأة مقيدة بإنجاب الأطفال - وهو شيء لا لزوم له فى عصر امتلأ أطفالا بلا رعاية . حرص المرأة على الإنجاب ، وحرص المجتمع على إقناعها بأن دورها فى الحياة

مرتبط بالإنجاب ، وزيادة النسل .. هو الذى جعلها أسيرة المنزل وأسيرة الرجل . لن تأتي الحرية بلا رفض ، وبلا كفاح ضد القيود .

كانت تعرض موقفها ببساطة شديدة،وثقة بلا حدود ، بالرغم من كبر سنها،وبالرغم من الشعر الرمادى والنظارة الطبية والتجاعيد ، فقد كانت شبابا دافقا وحيوية لا تنضب .

- ان فترة الحمل تؤثر بلا شك على قدرات المرأة وحيويتها، وأيضا رضاعة الأطفال وتربيتهم ، كل ذلك يضع المرأة فى موقف مختلف عن الرجل ، ويقف عقبة أمام النمو الحر للشخصية .

كانت بعض الفتيات يتابعن بحماس ، والبعض الآخر ينظر باقتناع ، وفى عيونهن تساؤلات .

- أما الأمر الثانى فهو أن الرجل يجب أن يشارك المرأة أعباء المنزل،اذا انطلقت للعمل وهو أمر لابد منه . المرأة تُكبَّل بعمل مضنٍ فى الخارج ثم تقيد بعد ذلك بالعمل المنزلى . العمل فى المنزل ، كما هو خارج المنزل .. عبءٌ على الجميع ، وواجب على الجميع . البعض يقول : إن الأدوار التى تلعبها المرأة فى الحياة هى أدوار طبيعية ، خلقت معها ، واستعدادها هو الذى

يجعلها أهلا لها،ولكن مع التطور ، واكتشاف حقيقة الأمر أدرك الجميع أنه لا وجود لمعنى كهذا . فالمرأة خرجت للعمل وهي مؤهلة له،والرجل أيضا مؤهل لأن يشاركها العمل في المنزل .

انتقلوا بعد المحاضرة والمناقشة إلى حجرة صغيرة ، وقدم الطعام والمشروبات .

– هناك سؤال يلح عليّ ..

– ما هو ؟

– ألا تظنين أن لقيادات النساء طبيعةً سيكولوجية خاصة؟

– لا أظن ذلك ، فهن-كقيادات الرجال-مؤهلات بحكم كونهن قياداتٍ لهذا المركز دون اعتبارات سيكولوجية خاصة .

قالت له " جودى " :-

– لقد شممت رائحة البارود في هذا السؤال .

منذ أن جاء ومشكلة الحرية هي المشكلة التي يتحدث عنها الجميع . حرية الأقليات ، حرية المرأة ، حرية المستهلكين . وتطل فوق المناقشات أزمة الأسعار،وأزمة البطالة ، فيقف الجميع ملجمي الألسن ، مشدوهي الوجوه والأفواه . من أبطال المناقشة مارجريت ميد،وكذلك رالف نادر .

في جامعة نيويورك يصيح أحدهم :

– رالف نادر رئيسا للولايات المتحدة .

ويصيح وراءه الآخرون :

–رالف نادر رئيسا .

يرد رالف نادر من على منضدة قاعة الاحتفالات بجامعة نيويورك :

– أنا لا أملك تليفونا فى منزلى ، فالتليفون لالزوم له. تصنعه شركة التليفونات لكى تزيد أرباحها . عندما أحتاج للحديث فاننى أستخدم العمومى .

إذن فهم أمام زواج بلا أطفال ، ومنزل بلا تليفون . هذا هو الحل لكى يتحرروا .

– لا أريد أن اكون رئيسا . أَخْرِجُوا هذا من أذهانكم .

يستمر الصياح والضجيج والهتاف :

– رالف نادر رئيسا لأمريكا .

– أيها السادة : إنهم يريدون أن يقنعوكم بأنكم تحتاجون لأشياء لاتحتاجون لها أصلا . رابطة المستهلكين سوف تقوم بالدفاع عن الاحتياجات الأساسية للمستهلكين ، لا الاحتياجات الأساسية للشركات .

وكان الرعب صارخا من فقدان الزوج الذى يُنجب الأطفال

فى أزمة العمل التى تفقد الأزواج أعمالهم .

(١٨)

قابل فى المصعد هيليجا البالرينا الألمانية المقيمة معهم فى المنزل .

- الباليه الذى قدمته فى صالة الاحتفالات كان رائعا ، لقد صفقت لك طويلا بل هتفت لك هتافا متصلا .

نظرت إليه بخجل ، وشكرت له إطراءه .

-إنك تبالغ كثيرا،بل تُفْرِط فى المبالغة .

كانت هيليجا تمتلك عينين واسعتين ، وشعراً أسود ينسدل على كتفيها،وكانت بشرتها بيضاء شفافة،ووجهها قوياً متماسكاً. كانت عاشقة لباليه،تظل تتدرب عليه ساعات،ثم تستسلم بعد ذلك للنوم ثم تعود لرقصها المزمن وتدريبها الشاق. تجمع بين الحساسية البالغة والإرادة الحديدية . عندما خرجت من باب المصعد كانت تنوب رقة وخجلا .

- سوف أتناول غدائى فى المطعم الصينى القريب ...لماذا لا نتغدى سويا ؟!

- نلتقى إذن فى موعد الغداء فى المطعم الصينى.

تذوب فى أفكارها ، وتشرد بعيدا فى عالمها الخاص ،

تلتقى عيناهما فيذوبان فى نظرة اللقاء ، وسرعان ما تتبدد لتعود مرة أخرى إلى أحلامها. تثبت نظرتها عليه ، وكأنها تطير به محلقة ثم تصل ما انقطع من حديث .

خرجا من المطعم الصينى ، يسيران فى شوارع بيوتها ذات طوابق محدودة . نوافذ مستديرة وأبواب خشبية مقلدة . الشارع يرتفع بهما كلما سارا فيه ، وكأنما يصعد معهما فى طريق المشاعر المتصاعدة . دخلا مكتبة تحت الأرض ، المكتبة تضم كتبا قديمة عليها أتربة وصفحات ممزقة ، وأوراق مكدسة.

أخذت هيليجا تفتش عن رسومات قديمة ، تريد أن تستوحىَ منها رسما جديدا ، فقد كانت تعشق الرسم بالألوان المائية. خرجا من المكتبة ، يتنفسان هواء بارداً فى جو رمادى ، ورذاذ -- ممطر ، كل منهما يحاول حماية الآخر من الرذاذ، فتلتقى الأيدى والأكتاف والبسمات ، وصلا إلى المنزل ، افترقا وودعته على لقاء . فى مساء اليوم التالى التقيا فى الصالة .

كانت تلبس فستانا أسود طويلا تخرج منه رقبتها الطويلة شفافة البشرة . تمهلت فى مشيتها عندما اقتربت منه . بسطت يدها من بعيد . سارا فى الحى القديم . خرجا فى هدوء الشوارع الخالية، إلى الزحام فى الطريق الرئيسى ، تسير وكأنها تطير بخطواتها المتلاحقة .

انتهيا من تناول العشاء .توجها إلى نادٍ ليليّ قريب . كل شئ فيه خشبي . في الجزء الخارجي ، الواقفون والجالسون يتناولون الطعام بنهم وبلا انقطاع – أما الجزء الداخلي فتنبعث منه موسيقى الآلات النحاسية ، والبيانو . اتجها صوب الموسيقى ، أرائك خشبية ذات ظهر عريض رُصتْ بعناية ، وثبتتْ أمامها مناضدُ خشبيةٌ عتيقة . جلسا متجاورين على إحدى الأرائك . العازفون كلهم سود . كانوا والاتهم في حالة من النشوة المذهلة ، والضجيج الهائل ، والإيقاع المتصل . يتسابقون على الأداء والغناء ، باندفاع وحوار عاكسين إخلاصا بدائيا .. وموهبة فذة ،كانوا في الخمسينيات يتصببون عرقا في ملابس السهرة الكاملة،وكانت عيونهم ترسل ومضاتِ البريق اللامع .

– نقدم لكم الآن الصديقَ الذي غاب طويلا . ولقد فاجأنا بالحضور الليلة . أيها الرجل ،إنك حقا صاحب المفاجآت إن هذا الرجل عزف سنين طويلة في هارلم،وغنى أياما في هذا المكان ثم رحل عنا لأنه قد ملنا ، وها هو ذا يعود لنا الليلة .

– إنني أشكرك على تحيتك ونكاتك وحبك الشديد ، هيا بنا ولنبدأ الآن .

يستمر العزف على الساكسفون والبيانو وإيقاع الطبول

والغناء فى نشوة جماعية هائلة مدعومة بكل آلة على انفراد.

فتحت كراسة الرسم الصغيرة،وطلبت منه أن يكتب لها كلمة بالعربية فترجمها لها . اتسعت عيناها.اغرورقتا بالدموع ، وتشابكت يداهما ... مالت برأسها على كتفه . تقابلت شفاههما. انتهيا من شرب كأس مخلوطة فيها أصناف مختلفة من المشروبات ومعلق فيها كريز أحمر ، واندفعا لشرب كؤوس أخرى وسط قبلات طويلة . انتهى العازفون من عزفهم وسط تصفيق مصاحب لموسيقى النهاية .

غادرا المكان ، وسارا نحو المنزل فى الشوارع الضخمة الخالية . أوقفها،واحتضنها،وضمها إليه ، فضمته إليها برقة ورفق . ثم واصلا السير فى ظلام الشارع النيويوركى القديم . توقفا مرة والتقت الأيدى والشفاه .

–إننا نعرض أنفسنا للخطر كلما توقفنا فى هذه الشوارع الخالية القاتمة .

أسرعا الخطى نحو المنزل . أوصلها إلى حجرتها،ورجاها ألا تتركه وحيدا.

–إلى حجرتى إذن

سارا ما بين حجرتها وحجرته وكأنهما يتطايران فى فضاء سرعة العرض البطىء لفيلم سينمائــــى .

(١٩)

انتقلت جودي للسكن مع شقيقتها في شقة مستقلة بعيدا عن المنزل الدولي . لم يكن الحي راقيا ، ولكنه كان أكثر احتمالا من المنزل السابق ، حيث الاستقلالُ مفتقَدٌ والضغوط تتصاعد .

- ظهرت بعض الخلافات بيننا عندما انتقلنا للسكني سويا نتيجة لتعارض أوقات استخدام التليفون فيما بيني وبين شقيقتي . ولكن الحل كان سهلا وسريعا . فقد اتفقنا أن يكون لكل منا تليفون مستقل ، وقد رُكب التليفونان ، وأصبحنا بلا مشاكل . إنك تبدو جوعانًا . سوف أعد لك سندوتشا فاخرًا الآن فلا تقلق . إنك تعيش في الفوضي ، ولكن دعني أنظم لك حياتك . إنك لاتدع أحدا ينظم لك حياتك . لذا تعيش في الفوضي المطلقة .

كانت جودي من أسرة متدينة ملتزمة.وكانت تعيش في ذكرياتها المحزنة.أحبت شابا مختلفا في الديانة وأحبها . عاشت قصة حب طويلة ، وعندما طلبت من أبويها الموافقة علي الاقتران بفتاها ثارت ثائرة الأب ، وتدخلت الأم بكل ثقلها .

- لايمكن أن نسمح بذلك ، وهذا لن يكون .

- اليوم أحس أن الندم يمزقهما ، فقد مضت أيام طويلة ويبدو أن الزواج لن يكون كما يتمنيان ، فلم ألتق بحبيب من نفس ديني ، حتي تحل المشاكل .

أما أختها فبعد زواج لم يدم أكثر من سنتين طلقت من زوجها بالرغم من أن الزواج تم برغبة الأبوين الملتزمين .

- لاتتحدث أمامها عن الطلاق.أرجوك ، ولاتخبرها أنك تعلم قصة طلاقها ، فإن هذا الأمر سيكون مزعجا جدا بالنسبة لها " دعنا نغير الموضوع.إن الموكيت الموجود بالشقة اشتراه صديق أختي الجديد . أليس رائعا ؟!

أعيد طلاءُ الشقة بلونٍ أصفرَ، وغطيتْ بالموكيت ، وتعاون الأصدقاء لكي يجعلوها مكانا محبيا ، بالرغم من وجودها في حي أصبح فقيرا بالنسبة لباقي الأحياء الراقية . أصوات العراك والمناقشات والصدام تُسمَعُ بجلاء ووضوح من جراء الصراع الدائر داخل المنازل المحيطة،وتطل الوجوه من النوافذ في حالة من الغضب الشديد ، والحزن الواضح .

جاء "جاك" صديق أخت جودي.كان ذا وجه مكتنز وجسم طويل مليء بالشحم، وكان يحاول باستمرار مجاملة الجميع . اختار بارا حيث كان زبونا دائما فيه . بارا صغيرا تحت الأرض ، يتميز بأضوائه الخافتة وألوانه الداكنة . جلسوا حول إحدي الموائد ، وجاك يحاول مندفعا أن يقترح المشروبات ، مرحبا بوجودهم ، معبرا عن ابتهاجه بالصحبة،والمكان ، قاصا نوادر حياته ومواقفها الغريبة الفريدة ، والشاقة. كان يحمل تيارا من الحيوية ، واندفاعا في حديثه

المعاد المكرر .

– لنشرب الأنخاب في صحتكم/في صحة جودى وصديقها الظريف . لاتقلقوا.لديهم مزات ممتازة مع المشروبات ، لديهم هنا كل شيء .

كانت المرأتان تتابعان الحديث . أما هو فكان يجارى محدثه معلقا بين الحين والحين،مبديا الاستمتاع أو الموافقة . تركوا المكان ، وتوجهوا نحو المدينة الصينية فقد اتفقوا علي أن يتناولوا طعامهم فيها .

وصلوا إالى حدود المدينة.مدخل جسر يبدو كأنه مهجور ، ومزين بكتل من البناء القديم . ميدان واسع تصب فيه شوارع عريضة خالية . دخلوا وسط المحال المكدسة والناس القصار ، وحركات كالنمل ، وروائح الأسماك المجففة ، والخشب القديم، والأطعمة المخزونة. ساروا يتفرجون ويتساءلون وسط مخزن هائل من البشر والبضائع والأزقة .

مطعم صيني ضخم ألوانه زاهية. انتظروا حتي تخلوَ مائدة. الوجوه مزيج من الاختلاف،آسبانية بيضاء، صفراء،وقمة العجب تبدو فتاة خليط ذات جسم ممشوق، طويلة ووجهها ذو ملامح فريدة، تجمع بين الشرق الأقصي وشمال الأطلنطي.

أخيرا وجدوا مكانا وسط الزحام والحركة التي لا تتوقف

والأطباق الصاعدة والهابطة. أكلوا .. نسائر اللحم والسمك والأرز المخلوط بالخضروات وسائر الأطعمة. دفع جاك بقشيشا مضاعفا.

– هكذا الأمريكيون عندما يرضَوْن عن الخدمة الجيدة.

عندما وصل حجرته ملأ رأسَه طنين وزحام من الصور المتكررة المستقطعة من عالم بعيد.

(٢٠)

خرج من المحاضرة في العاشرة مساء. الهواء ساكن والسماء بلا غيوم. أراد أن يستقل المترو. ولكن حادثا وقع عطل المرور في الدهاليز المظلمة. صعد مرة أخرى، إلى سطح الأرض.الزحام شديد حول محطات الأتوبيس ، وفي الشوارع كثرت العربات واختنق المرور. صعد إلي أتوبيس، وعلي غير العادة كسر الصمت المعتاد وتحدث البعض عن تكهنات حول الحادث.

نزل فيما تخيله محطة قريبة من المكان الذي يقطن فيه. الحي مظلم والأضواء منبعثة من البيوت التي بدت متباعدة متناثرة،فسار قليلا يستكشف المكان، تأكد أنه بعيد عن سكنه. منذ أيام قليلة أخطأت فتاتان جديدتان من جامعة كولومبيا، ولم تغيرا المترو الرئيسى إلى المترو الفرعي، وخرجتا فيما ظنتاه محطة الجامعة إلى محطة أخري تحيطها حدائق المنتزه.،سارتا قليلا وفجأة ظهرت

الوجوه ذات الأعين والأسنان اللامعة وأحطات بهما. كان الاغتصاب أولا والقتل ثانيا، حفلا كاملا لقاطني الهواء الطلق.

سمع أصوات الموسيقي المنبعثة من أحد البارات. صعد إلى البار، إنه في قلب هارلم إذن. زنوج في ملابس زاهية وزنجيات في ملابس سهرة جريئة وتقليدية في آن واحد. الشعور مصبوغة ومفرودة أو متروكة خشنة هائشة طويلة أو مجدولة جدائل صغيرة متعددة حول الرؤوس. رجال كالحوائط الصلدة المتمردة ونساء يجلسن بلا تكلف على البار، يضحكن ضحكات خافتة تعلو عند اللزوم خليعة صاخبة. الرجال يتحدثون عند الضرورة فقط، بصوت هامس ونبرات متزنة. ود أن يجلس علي البار يستمع إلى الموسيقى ذات الإيقاع المركز وينعم بالدفء ذي الترتر الكامن، ولكن الأعين المتحدية المتسائلة عن القادم من وراء دخان لفافات الماريجوانا صدته سريعا، وعاد أدراجه في الليل خافت الأضواء وشحنات التأمل المتدفقة والافكار تتقاتل في رأسه. سار وحيدا يبحث عن وسيلة للعودة، والضحكات الرقيقة والصاخبة تملأ الجو ورائحة الماريجوانا تنتشر فيه.

عندما وصل المنزل حكي لكارول الزميلة الزنجية الأمريكية عما رآه وأحس به في ذلك الجو الغريب.

- آه ... إن هذا خطؤك أيها المصري ... إن الحضارة المصرية قد أسسها الأفارقة، يجب عليك أن تزور هارلم .... لا أن تتجاهلها،

وأن تزورها في عز النهار، لا في الليل الدامس، وعن طريق الخطأ.

رد قائلا :

- لكنهم في مصر يعتبرون الحضارة المصرية القديمة حضارة مصرية بحتة.

قالت كارول :

- الزنوج هم الذين صنعوا أول الحضارات، وهم الذين علموا البشر وهم السادة الحقيقيون للعالم، ولكن البيض شوهوا الحقيقة. إن مصر تقع في إفريقية ولاتقع في أوربا.
- البلاد المطلة علي البحر المتوسط تنتمي إلي أجناس متعددة آسيوية وإفريقية وأوربية ، وبدرجات متفاوتة. ثم إنك تصرين علي اتهام البعض بالتفرقة العنصرية دون الآخر، بل قد سمعت عندما عاد بعض زنوج أمريكا إلي أفريقية، وطنهم الأصلي، وأسسوا لهم وطنا جديدا، مارسوا التفرقة النعصرية ضد قاطني المنطقة في أول الأمر.
- لاتصدق هذا، إنها مجرد دعايات ينشرها بعض المغرضين لكي يبرروا جرائمهم وأفعالهم الدنيئة.
- من أين أتتك العينان الملونتان، والبشرة الخمرية ؟
- إنك لاتعلم إذن! عندما أخذوا أجدادي عبيدا كان البعض

يمارسون الجنس معهم بالإجبار. فخرجنا كما تري، مزيجا من التقاطيع السوداء، وبعض تقاطيع بيضاء... لم يتركوا شيئا فينا إلا شوهوه..

- هذه صورة لنفرتيتي من عند مجدي - الصورة لاتمت بصلة للتقاطيع التي تحدثت عنها !!

نظرتْ الي الصورة بدهشة، وكأنها لاتصدق:

- هذا صحيح لابد أن هذه الصورة قد لونها بألوان زاهية. أما الحقيقة فهي أنه · لا بد أن نفرتيتي ليست كذلك.

يستمر عنادها بلا توقف ولا تراجع.

- سوف أخذك لزيارة هارلم، وسوف تتعرف علي معالم هؤلاء الذين بَنوْا الحضاراتِ القديمةَ، وعادوا اليوم وبنوا أمريكا.

عند مشارف هارلم وقف رجل يلبس ملابس بيضاء، وعلي رأسه قلنسوة ذات حرف مستدير وتحت إبطه أوراق كثيرة وفي يده سلة صغيرة.

- أيها الإخوة :املأوا السلة من أجل بناء المعبد. أيها الإخوة المؤمنون لاتترددوا في العطاء.

- هذا الرجل يجمع المال من أجل بناء معبد للمسلمين.

- اسمه مسجد وليس معبدا

- ولكن جماعات المسلمين هنا يسمونه معبدا لامسجداً .

في الطريق سارت بعض السيدات لابساتٍ " طُرَحاً " وفي ملابس علي الزي الإسلامي .

- نساء مسلمات يلبسن حسب تعاليم دينهن.
- لماذا لاتفعلين مثلهن ؟

دخلا محلا لبيع الكتب. المحل به عامل يكاد يسقط إعياء . لافتة فوق العامل مكتوب عليها:

" تحرك أيها الجنس القادر فأنت العظيم الذي قد أعطى العالم الحضارة والمدنية ". بجانب اللافتة تمثال فرعوني مدهون بلون أسود.

بدأت السحب تتجمع منذرة بالمطر. تكونت مستنقعات صغيرة في الشارع. أخذ المارة يتجمعون عند مداخل المنازل وتحت مظلات المحلات.

دخلا محلا صغيرا، وجلسا يتناولان القهوة الساخنة وبعض الطعام . خرج رجال عمالقة إلى الشارع ، يلبسون حللا بيضاء تحتها صديريات بيضاء وقبعات من نفس اللون يخفي عيونَهم زجاج" لامع" محاطين بالبودي جاردن .. السود العمالقة. شفاههم لاتكاد تنبس بالكلمات.

كانت السيارات الفارهة في انتظارهم وعندما انحَنَوْا لدخول العربات ظهرت قطع السلاح المخفية تحت ملابسهم والموضوعة في

محافظهم الجلدية.

– من هؤلاء ؟

– مافيا هارلم... !!

– إنهم يكونون مافيا سوداء، يتجرون في المخدرات... كغيرهم ياسيدي من الايطاليين والبورتور كان. ماذا بك؟ حتي الجريمة لايحق للسود أن يمارسوها؟ إن لهم حقوقا كغيرهم من البشر أم أن البيض وحدهم لهم حق الاتجار في الهيروين والرقيق الأبيض!! سوف آخذك معي لتري فيلما يصور مأساة أهل جنسى من السود الذين لا يريد أحد أن ينصفهم .. هيا قم ولاتضيع وقتك،امتلأت قاعة السينما حتي آخرها. تعالت الهمهمات كلما تجلي منظر من مناظر التعذيب والعبودية ثم تعالت صيحات الاستحسان والضحكات من النساء،لقد أعجبها... لقد أعجبها،وذلك عندما ضاجع العملاق ماندنجو امرأة ... : صاحب الدار والضيعة بعد إلحاح منها.

استدرجته إلي المنزل بحجة قضاء عمل به بعد سفر الزوج بعيدا لبضعة أيام. خلعت عنه ثيابه،تحرشت به، تدللت، وعندما لم يستجب هددته قائلة:

– سأشى بك، سأبلغ عنك، أنك حاولت اغتصابي بعد أن اقتحمت المنزل، تحرك، اصنع شيئا.

استدارت، مررت أصابعها علي ذراعيه وصدره وبقية جسده،

قبلته باشتياق بالغ. فقد الرجل مقاومته. اندفع نحوها دفعة واحدة، لايلوي علي شيء. ظهرت علي وجهها علامات النشوة. أخذت النساء يصحن صيحات السعادة ويضحكن ساخرات بالمرأة البيضاء التي قدرت القوة حق قدرها. أخذن في تبادل التعليقات بصوت عال. وضمن التصنيفات للفعل ورد الفعل.

آلا تدري هذه البغي أن الأسود سيد المضاجعة ؟! يالها من بلهاء! آن لها أن تعلم.

أخذت الصيحات تتوالي والشهقات المنبهرة تتعالي متداخلة مع الكلمات الخليعة، وإحساس جامح بلذة الانتصار والنشوة الغامرة يجتاح النساء.

عندما قارب الفيلم نهايته اكتشف الزوج الأمر. هم بوضع ماندنجو في الماء المغلي، انتقاما لما أصابه، بعد أن وضعت زوجته طفلا أسود ... تملكت المتفرجين حمي مستعرة، ونار متأججة من الغضب. تعالت القبضات السوداء في الهواء، منذرة بالشر، وانتظمت صيحات الحث علي الانتقام في حركة جماعية شاملة.

اقتلهم ... اقتلهم ... اقتلهم ، وانحدرت دموع رقراقة وسط الصيحات الصاخبة.

(٢١)

أول الربيع... برودة تحملها رياح مبللة بقطرات المطر. بدأ الثلج ينحسر عن الشوارع والأرصفة خليطا من اللون الرمادي والأبيض والأسود. مضت الأيام والليالي في نيويورك،رأي خلالها أوراق الخريف تتهاوي شاحبة وأشجار الشتاء العارية وسط غابات المباني الشاهقةبالشوارع المتعامدة في ليالي آلاف الإشارات الأوتوماتيكية ذات الألوان المتعددة.

يقبل الربيع في أول أيامه ممزوجا ببقايا الثلج ورواسب البرد، وقشعريرة المساء. يستقبله لابسو الجينز والأوجه الباهتة بتخفيف مالا يلزم من ملبس داكن،مواصلين السير في شوارعهم الأسفلتية والجلوس في قاعاتهم الخرسانية.

إذن لامفر من الوداع، لأن الوقت يمر كيفما اتفق، الوقت يمر متأنيا سلسا منتظما لا يوقفه عائق. ينفذ وينتشر ويتراكم ويتلاشى ليبقى هو نفسه شاهدا على زوال الأشياء وضياع الناس. ونيويورك قلعة متينة للأحياء، تقف بزجاجها المقوى، وخرسانتها المسلحة أمام الأطلنطي تستقبل المغامرين والمهاجرين والهاربين. تصنعهم وتلفظهم، تدمجهم، وترقبهم بأعين خرساء من وراء زجاجها اللامع تنعكس عليه

أضواء الشفق الخافتة الاحمرار. مبانيها الشاهقة صنعت قبل أن يصنع الزمان الذي نعرفه،تطل عليه وتحاول ابتلاعه، فقد جاءها من العالم القديم يتسرب إليها فتجاهلته مراقبة متأنية، وفي جوفها بركان من السرعة الخارقة والإيقاع المذهل.

المشاهد تتجمع، تنفض، تتلاقى، تمتزج، تتفرق بعيدا ثم تعود مرة أخرى صامتة متوارية، أو ناطقة حية. علي خشبة مسرح برودواي يجري البحث عن التائهين فى الموتيلات والفنادق. آلاف الفنادق المجهولة والموتيلات المتناثرة والاستراحات عند مداخل المدن ومفارق الطرق التي تقطعها ملايين السيارات.. الچاز يصاحب العواطف والأفكار والحركات. الانهيار، ثم الاغتيال، وتتعالي دقات الطبول مع نغمات الساكسفون الرتيبة. ينطلق الرصاص وتهوي السياط. عصور قديمة، الدير مصير من لا تستسلم من النساء، والرجال جبابرة يقفزون ويتراقصون، وفي أيديهم عصيّ تتهاوى متلاقية بعنف بالغ، ورشاقة متناهية، يتبارزون بها عند بداية الفصول وانتهائها... الزواج كالاغتصاب، والدير كالاغتيال والكورس يصاحب الأحزان. تتردد أصداؤه في بهو متسع الجنبات، رجال عراة ونساء عاريات، التشتت والإحباط، التمزق، ضحك هادىء يائس. تصدر الجهات المختصة إذننا بممارسة الحرية الجنسية الكاملة بلا تحفظات، فالكفاح انتهي

إلي النتيجة المطلوبة. ينظر المتفرجون بعضهم لبعض بارتباك ويبتسمون ابتسامات صامتة. يخرجون بوجوه ممتلئة وأجسام سمينة، ويُحشرون في مجموعة من الكاديلاك، يقف أمام أبوابها صف من السائقين في زيهم المحكم يفتحون أبواب السيارات الفخمة ذات الطراز العريض.

في المعارض لوحات مكدسة من ألوان زاهية وألوان قاتمة، خطوط متداخلة وسط وحشية متناثرة الأبدان .رؤوس ثيران وحطام قنابل وفزع. نساء بدينات، وفواكه استوائية، تماثيل من الحجر والمعدن، لوحات بيضاء بها خدوش، خط واحد في لوحة منعدمة الألوان. حارس المتحف يتأسى ثم يسير، يتوقف لحظات، ينظر حوله، يريد لكلماته وهمساته ألا تظل محبوسة في صدره، أن تصل إلى آذان الزائرين، يقول لزميله بصوت تخرج كلماته المكبوتة:-

– بحق السماء أستطيع أن أصنع أروع منها. كل هذا من أجل لوحات تكاد تكون خاوية تماما.

يكتم ضحكاته. يرد الآخر بنفس الضحكات الساخرة:

فرق للراقصين والراقصات. فوق الأرض تتلوي الأجسام النضرة في الفضاء حركات مستقيمة، وإيقاع مركز للأيدي والأقدام، ثم تنطلق الموسيقي الكونية، أحزان معربدة تستبد برجل عار مدفوع نحو حوض غسيل، ووجهه في مواجهة بالوعة الحوض. ماء وخضرة

وزجاج ملون تنعكس عليه الأضواء فى قاعات فسيحة. الحوائط متصاعدة بلا درج. مساحيق توضع بعناية علي وجه باريس الشابة العجوز.. نظرات شاجال... تخترقها بكل الهدوء. الأدوار السحرية، والمعمار البلّورى الجراجات الداخلية المملوءة بسيارات العادم أمام المصاعد المنتظرة. المصابيح الكروية في ميدان واشنطن في ليالٍ ضبابية ساكنة الهواء. خارج محطات المترو صحف الصباح تباع في المساء قرب إفريز منسي لدرج قديم.قضبان حديدية وراءها محصلون.

تقول إحدى المفزوعات دائما:

– هيا نستمع إلى الشعر تحت الأرض.

درجات سلم سفلية، الماريجوانا، اللامبالاة والجيتار .

فى المنزل الدولي حفل الوداع السنوي. فى ليلة الأمم طعام ورقص وأغان، وموسيقى، وحركة هائلة ودقات طبول مصاحبة لرقصة النهاية، في نشوة عارمة أطاحت بالحدود والفواصل في إيقاع واحد.

المدينة تأنس بالاحتفال، ونيويورك كارثة جميلة كما يقولون. خرج طلبة جامعة كولومبيا يوزعون الخمور علي المارة مجانا، احتفالا بانتهاء الحرب فى الشرق الأقصى.

– الدعوة مفتوحة، انضموا إلينا، انتهت الحرب، كفانا قتالا، الليلة عيد.

في أحد أركان المدينة جلست فرقة موسيقية كاملة الإعداد، تعزف ألحانا راسخة فى النفوس، تجمّع السائرون حولها، علا صوتهم بالغناء، وبالرغم من الحماس المتفائل سرت رنة هادئة حذرة من كورس واحد مكون من عشرات السابلة لايعرف بعضهم بعضا. تشابكت أيديهم، ولمعت عيونهم، وانطلقت شفاههم، يحتضنهم مساء ربيعى، وهواء أملس اللمسات.

رقم الايداع ٣٠٨٣ / ١٩٨٩

مركـز الدلتا للطباعـة
٢٤ شارع الدلتا ـــ اسبورتنج
تليفون ٥٩٥١٩٢٣



أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *
أبراج على الأطلنطي * أبراج على الأطلنطي *

عبد الله الوكيل